# بوح الذاكرة

## «الجزء الثاني»

تأليف

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الثنيان

obeikandl.com

ح مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشنيان، عبدالعزيز بن عبدالرحمن

بوح الذاكرة - الرياض.

٢٦٠ص، ١٤ X ٢١ سم

ردمك: ٨-٥٠٨-٢٠-٩٩٦٠ (مجموعة)

١-٥٠٦-٢٠-٩٩٦٠ (ج٢)

١- التعليم السعودي أ- العنوان

ديوي ٣٧٠,٩٥٣١ ١٩/١١٠٣

ردمك: ٨-٥٠٨-٢٠-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم الإيداع: ١٩/١١٠٣

١-٥٠٦-٢٠-٩٩٦٠ (ج٢)

**الطبعة الأولى**

**١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م**

**الناشر**

**مكتبة العبيكان**

**الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة.**

**ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥**

**هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩**

obeikandl.com

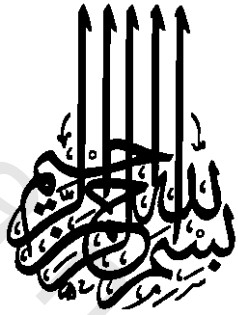


obeikandl.com

obeikandl.com

روَى ابنُ عبدِ ربِّه في
كتابِه (العقد الفَريد) أنَّه قيلَ
للعتَّابيِّ: هَل تعلمُ أحداً لا عيبَ فيه؟
قالَ: إنَّ الذي لا عيبَ فيه لا يموتُ أبداً.
ولا سبيلَ إلى السلامةِ من ألسنةِ العامَّةِ.
وقالَ العتابيُّ: مَن قَرضَ شعراً أو وضعَ
كتاباً فقَد استهدفَ للخصُوم، واستشرفَ
للألسُن، إلاّ عندَ مَن نظرَ فيه بعَين
العَدل، وحكمَ بغَير الهَوَى،
وقليلٌ مَّا هُم.

كان أحدُ النُسَّاكِ

يَدعُو فيقولُ:

«اللهمَّ صُنْ وجوهَنا باليسار، ولا تبتذلْها بالإقتار، فنسترزقَ أهلَ رزقِك، ونسألَ شرارَ خَلقك، فَنُبْتَلَى بحَمد مَن أعطَى، وذَمِّ مَن منعَ، وأنت من دُونهما ولِيُّ الإعْطَاء، وبيَدك خزائنُ الأرضِ والسَّماء يا ذَا الجلال والإكرامِ».

obeikandl.com

# المقدمة

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ. وبعد:

فهذا هُو الجزءُ الثانِي من كتابِ بوحِ الذاكرةِ. وقَد جاءتْ موضُوعاتُه متنوِّعةً في مادَّتِها، مختلفةً في تواريخِها، وكما قلتُ في الجزءِ الأوَّلِ من أنَّها وردتْ في ثنايا الكتابِ كحاطبِ ليلٍ. فلم ألتزمْ بتسلسلٍ تاريخيٍّ، ولَم أتقيَّدْ بترتيبٍ موضوعيٍّ.

وحين بدأتُ في الكتابةِ توالتْ الخواطرُ، وتتابعتِ الذكرياتُ، وصارتِ الأحداثُ

شاخصةً أمامِي، ماثلةً في ذاكرتِي.

ألا ما أجملَ الذاكرةَ! إنَّها نعمةٌ من الله وسرٌّ من أسرارِ النفسِ البشريةِ! فكمْ تعودُ بكَ لسنواتٍ طويلة، وتُذكِّرُكَ بأحداث جميلةٍ، فيها العبرةُ والعظةُ، ومنها الدروسُ والخبرةُ!

والمواقفُ التي وردت في هذا الجُزءِ، وسابقِه، وما سيتلُوه من أجزاءٍ ـ إنْ شاء اللهُ ـ تُصوِّرُ واقعاً تعليمياً عايشتُه، وتعرِضُ لجوانبَ تربويةٍ كُنتُ طرفاً في أغلبِها، إنَّها تعرضُ صورةَ التعليمِ، وتعكسُ معاناةَ المسؤولِ، وتُصوِّرُ طموحَ القائمينَ على شؤونِ التربيةِ في بلادِنا

الغاليةِ، وتحكِي واقعَ الاستثمارِ الأمثلِ.

وإنِّي أذكُرُ ما قلتُه في مقدِّمة الجُزء الأوَّل لهذا الكتابِ (بَوْح الذَّاكِرَة) مِن أنَّ تجاربَ المتقدِّمينَ مِرآةٌ للمتأخِّرينَ.

وأرجُو أن يستفيدَ القارئُ ـ وبخاصة رجالُ التعليمِ ـ من هذه الذكريات؛ فالصورةُ تتكرَّرُ، والأحداثُ تتوالى. يقولُ الجاحظُ في رسائلِه:

إنَّ اللهَ لَم يُعلِّم الناسَ ليكونُوا عالمين دونَ أن يكونُوا عاملينَ، بل علَّمَهم ليعمَلُوا، وبيَّنَ لَهم ليتَّقُوا التَّورُّطَ في وسطِ الخوفِ، والوقوعَ في المضارِّ، والتوسُّطَ في المهالِكِ[1].

(١) رسائل الجاحظ ١/ ٥.

هذا ولقد عملتُ على ربطِ المواقفِ ما أمكنَ بما فِي تراثِنا من أمثالٍ سائرةٍ، وأبياتٍ مناسبةٍ، وحكمٍ بالغةٍ.

يقولُ محمَّدُ بنُ سلامٍ الجُمَحِي عن ابنِ جُعْدَبة، قالَ: ما أبرمَ عمرُ بنُ الخطابِ ـ رضِيَ اللهُ عنه ـ أمراً قطُّ إلا تمثَّلَ فيه ببيتِ شعرٍ.

وقالَ محمدُ بنُ عليٍّ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنه: كفاكَ من علمِ الأدبِ أن تروِيَ الشاهدَ والمثلَ.

وأختمُ هذهِ المقدمةَ بقولِ ابنِ قُتَيبَةَ: زكاةُ المالِ الصدقةُ، وزكاةُ الشرفِ التواضُعُ، وزكاةُ الجاهِ

بذْلُه، وزكاةُ العلمِ نشرُه، وخيرُ العُلومِ أنفعُها، وأنفعهُا أحمدُها مغبَّةً، وأحمدُها مغبَّةً ما تُعلِّمَ وعُلِّم للهِ، وأريدَ بهِ وجهَ اللهِ[1].

أسألُ اللهَ أنْ يجعلَ عملَنا خالِصاً لوجهِه..

هذَا وباللهِ التوفيقُ.

المؤلف

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الثنيان

الرياض ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة: ١/ ٤١.

obeikandl.com

obeikandl.com

## ١- تربية أمير

رأى مالكُ بن دينار رحمه اللهُ ـ وهو من كرامِ التابعين ـ رجلاً يُسيءُ صلاتَه، فقالَ: ما أرحمَني لعياله! فقيلَ له: يُسيءُ هذا صَلاتَه، وترحمُ عيالَه؟! قالَ: إنَّه كبيرُهم، ومنه يتعلَّمون.

وصدقَ مالكٌ؛ فالكبيرُ قدوةٌ، يتعلمُ منه أبناؤُه الشيءَ الكثيرَ، وهُو المربِّي الأولُ، يُحاكِيه أكبادُه، ويقلدُه صغارُه.

وسِيَرُ الأعلامِ جديرٌ بنا روايتُها، وأخلاقُ الكبارِ حريٌّ بنا معرفتُها. فهذا سيِّدٌ من رموزِ

وطننا الغالي كان لي موقفٌ مع واحدٍ من أبنائه، أبَت الذاكرةُ إلا أن تبوحَ بذلكَ المشهد، والقلمُ إلا أن يُدوِّنَ ذلكَ الموقفَ، ويسجِّلَ ذلكَ النموذجَ الفريدَ من التَّربيةِ.

ففي ذَاتَ يوم اتَّصلَ بي مَعالي الدُّكتور الخويطر، ووجَّهَني أنْ أتَّصلَ بصاحبِ السُّمُوِّ الملكيِّ الأميرِ فهد بن سلمان بن عبدالعزيز. لأبحثَ معه موضوعاً يتعلَّقُ بإحدى المدارسِ في مدينةِ الرياضِ. ووجَّهَني معاليه بأنْ أقفَ شَخصياً على الموقع، وأن أتَّفقَ مع الأميرِ على ما فيه مصلحةُ الطرَفَينِ.

وجرى الاتصالُ بسمو الأمير وأبلغَني

باتِّفاقه معَ معاليه. وحدَّدتُ معَه موعداً للزيارةِ وذهبتُ معَ لجنةٍ شكَّلَتْها الوزارةُ لننظرَ في الأمرِ.

وكان الأمرُ يتعلَّقُ بفِناءِ تلكَ المدرَسة، حيثُ كان مُتداخلاً معَ منزلِ سموِّه، ويرغبُ سموُّه تعويضَ المدرسةِ بفِناءٍ أكبرَ، وأرضٍ أوسعَ مع الجهةِ الأخرَى، وأنْ نسمحَ له باقتطاعِ هذا الجزءِ الصَّغيرِ، وسوفَ يقومُ كذلك بتسويةِ الموقعِ، وهدمِ السورِ، وإعادةِ بنائِه، وجميعِ التكاليفِ اللازمةِ.

وزرتُ سموَّه، ورغبَ أن أقَف معه على الموقعِ من أعلى السطوحِ. وصعِدنَا السلمَ

المؤدِّيَ إلى الدَّور العلويَّ، وكان سُلَّماً ضيِّقاً مُعْوَجّاً، يُطأطئُ صاعدُه الرأسَ بقوة، ويحني ظهرَه بغلظة، ويكادُ صاعدُه أن يمشيَ على يدَيْه وركبتَيه.

وفي أثناء صعودنا وانحنائنا أحسَّ الأميرُ بالمعاناة، وابتسمَ الابنُ البارُّ، وقالَ: هل تعلمُ أنَّ والدِي صعدَ هذا السُّلَّمَ الصعبَ المرتَقَى؟!

قلتُ: ولماذَا ألجأتَه لذلك؟!

قال: هذا طلبُه.

قلتُ: ولماذا طلبَ ذلك؟!

قال: لأنَّه يوجدُ بيني وبينَ المدرسةِ طريقٌ

ضيقٌ نهايتُه مغلقَةٌ من جهةِ المدرسةِ، ولا يستفيدُ منه لا الجارُ ولا عابرُ الطريقِ.

قلتُ: وما علاقةُ هذا الطريقِ بصعودِ الوالدِ حفظَه اللهُ؟!

قال: إنَّ هذا الطريقَ الملتويَ يحجزُ بينَ بيتي وبينَ الفِناء الذي أرغبُ في ضَمِّه إلى منزلي، ولا بدَّ من ضمِّ هذا الطريقِ. وحين عرضتُ الأمرَ على الوالدِ رغبَ أنْ يتأكَّدَ بنَفسِه من حقيقةِ الأمرِ، وأنَّه إذَا تمَّ ضمُّ هذا الطريقِ فلا ضررَ على أيِّ مجاورٍ، ولا أذى على أيِّ ساكنٍ.

قلتُ: أعظِمْ بهِ أباً! وأكـرِمْ به سيِّداً! وهَنيئـاً لكَ وللوطنِ بهذا العَظيمِ في أقـوالِه، الكَبيرِ في أفـعـالِه، الذي يريدُ أن يـكونَ هُو وأبناؤُه قـدوةً حـسنةً، وأُسـوةً مـعـتـبَرةً، ويأبَى إلا الوقـوفَ بنفسِه! إنَّه بذلكَ يُربِّي ويُعلِّمُ، إنَّه يُقـرِّرُ منهجاً، ويؤصِّلُ خُلـقـاً، إنَّه يُلقِّنُ أبـناءَه دُروسـاً في العَدل، والرِّفق، إنَّ أفـعـالَه العظيـمـةَ، وأقـوالَه مؤثرةٌ، إنَّه مدرسةٌ للمربِّينَ، وعلمٌ للمقتدينَ، إنَّه يعـرضُ صُوَراً من عدلِ أمراءِ الإسـلامِ الأوائلِ مع أبنائِهِم.

إنَّه صاحبُ السُّموِّ الملكيِّ الأمـيرُ سلمانُ بنُ

عبدِ العزيزِ، أميـرِ منطقةِ الرياضِ مع ابنِه فهدِ بنِ سلمانَ.

ألاَ بُورِكَتْ تلكُمُ الـسَّجـايَا! وسَمَت تلكُمُ المزايَا!

obeikandl.com

obeikandl.com

## ٢- إجابة الوزير

الإعلامُ له محاسنُه، وفيه مساوئُه، ويختلفُ البشرُ والمسؤولون في التعامُل مع الإعلامِ، فمِنهُم منْ يهوى الشُّهرة، وعلى اتِّصال بالقنواتِ الإعلاميةِ، وآخَرُ خلافَ ذلك يخشَى الإعلامَ، ويتهرَّبُ مِن وسائله، وثالثٌ وسطٌ بينَ هذا وذاكَ.

وكثيراً ما أحرجَ الإعلامُ بعضَ المسؤولينَ، وجعلَهم في مواقفَ صعبةٍ، وكأنِّي بالمجتمَعِ يُردِّدُ قول الشاعرِ:

قَد قِيل ما قِيل إنْ صِدْقاً وإنْ كذِبا

فمَا اعتذارُك مِن قَولٍ إذا قِيلا

إنَّها الكلمةُ، ما أخطرَها! ولهذا قالت العربُ في أمثالِها: رُبَّ كلمةٍ تقولُ لصاحبِها: دَعْني. حيثُ ضربُوه في النَّهي عن الإكثارِ من القولِ، وذكرُوا أنَّ ملكاً من مُلوكِ حِمْيَرَ خرجَ مُتصيِّداً ومعه نديمٌ له كانَ يُقرِّبه ويُكرمُه، فأشرفَ على صخرةٍ ملساءَ ووقفَ عليها، فقالَ له النديمُ: لو أنَّ إنساناً ذُبِحَ على هذهِ الصخرةِ إلى أينَ كان يبلغُ دمُه؟

فقال الملكُ: اذْبَحُوه عليها ليُرَى دمُه أينَ يبلغُ. فذُبِحَ عليها، فقالَ المَلِكُ: رُبَّ كلمةٍ تقولُ لصاحبِها: دَعْنِي[1].

(١) مجمع الأمثال للميداني (١٦٣٥).

وقال أكثمُ بنُ صيفي ـ وهُو من حكماءِ العربِ: مقتلُ الرجلِ بينَ فكَّيْه[١].

لكنَّ البلاءَ إذا قُوِّلْتَ ما لم تقُلْه، أو حُوِّرَ كلامُك وتصريحُك.

وأذكرُ أنَّني حضرتُ مرةً حفلاً أقامَه معهدُ العاصمة النموذجيُّ بمناسبةِ انتهاءِ النشاطِ المدرسيِّ لعامِ ١٤٠٣هـ.

وبعد الحفلِ طرحَ أحدُ المعلِّمينَ عدداً من الأسئلة، ووضعَ أمامي جهازَ التَّسجيل، وأجبتُه عَن السؤالِ الأول والثَّاني. وكانَ هذا المعلمُ يتابعُ النشاطَ التعليميَّ، وينشرُ عدداً من الأخبارِ والتعليقاتِ في جريدةِ الجزيرةِ.

(١) جمهرة الأمثال لأبي هلال الحسن بن عبدالله بن سَهل العَسْكري (١٨٢٧).

واســـتـــرسلَ ذلـكَ المعلمُ الـكريمُ (ع.ش) وكانت تجربَتي الإعلاميـةُ حديثةً؛ ولهذا أطنَبتُ في الإجابةِ وتمادَيتُ في الحـديثِ مع ذلكَ المعلِّمِ الصـحفيِّ، حـيثُ سـألَ عن المعلِّمينَ، والحاجـة إلى المَزيدِ منهُم، ورغبَ في معـرفةِ رأيِي في أَنْ يتولَّى تدريـسَ المرحلةِ الأوليةِ النسـاءُ لوَفرتهن، ولأنَّ الطلابَ في هذهِ المرحلةِ لا زالُوا صغـاراً، وشـأنُهم كـرياضِ الأطفـالِ التِي يقـومُ علَيـهـا النساءُ.

وقـال ذلكَ المـعلمُ الصـحـفـيُّ: إنَّ حـديثَ رسولِ الله ﷺ بالتفـريقِ بينَ الأبناءِ في المَضاجعِ إذَا بلغُوا سنَّ العاشـرةِ، وإن الطلابَ في المرحلةِ

الأولية أعمارُهم بينَ ستٍّ وتسعِ سنواتٍ، والرأي هُو أنْ تُعلمَ المرأةُ هؤلاءِ الأطفالَ.

وأجبتُه بأنَّ نظامَنا التَّعليميَّ في المملكة له تميُّزُه وخصوصيَّتُه، وأنَّ المرأةَ في المملكةِ محفوظةٌ كرامتُها، مصانةٌ حقوقُها، وأنَّ على الرجلِ القوامةَ، وللمرأة مجالاتُ تخصُّصها، وأنَّ موضوعَ تدريسِ الصفوفِ الدنيا من قِبَلِ المرأةِ حوله آراء ووجهات نظر متعددة. فالطلابُ في هذه المرحلةِ لا زالُوا صِغاراً.

ولكني أرى أنه قد يكون من المناسبِ أن نُعدلَ في السلمِ التعليميِّ، بحيثُ نُطورُ رياضَ الأطفالِ، ونجعلُها أربعَ سنواتٍ، ما بينَ الرابعةِ

إلى الثامنة، وتكونُ من مسؤوليـة الرئاسة العامة لتعليمِ البنات، ونُعدلَ المـرحلةَ الابتدائيةَ لتكونَ أربعَ سنوات، وتتولَّى وزارةُ المـعارف مسـؤوليةَ الذكور، والرئاسةُ العامةُ لتعليمِ البنات مسؤوليةَ الإناث، فـقَد يكـونُ في ذلكَ تطـويرٌ وتجـديدٌ واستيعابٌ للقُوَى العـاملة، وتركيزٌ علَى القراءة والكتـابة، وحـفظ الـقـرآن الكريم، ومـبـادئ الحـساب فـي مرحلة رياضِ الأطـفال، ثُم يَبـدأُ الطلابُ في المرحلة الابتدائية وقد عرَفُوا القراءةَ والكتابةَ، وبعضَ المهارات الأساسية.

وقام ذلك الصـحفيُّ باختـزال هذا الحديث، وكـتـبَ عُنواناً بخطٍّ عـريضٍ: إنَّ مـديـرَ عـامَّ

التـــعليمِ بـالرياضِ فـــلاناً يَرَى أن تقـــومَ المرأةُ بتدريسِ المرحلـة الأوليةِ، ولَم يتعـرَّضْ لموضوعِ تطويرِ ريـاضِ الأطفـالِ، ومـــراجـعَةِ الهـــيكلِ التعليميِّ.

وعلى الفورِ وردتْني اتصالاتٌ هاتفـيةٌ تعيبُ وتنتـقـــدُ. وتناولَ أحـدُ خطبـاء المـساجـد هذا الموضوعَ في خـطبته ،وخوَّفَني بالـله، وتساءلَ: كيـفَ يَجرؤُ مسـؤولٌ كبـيرٌ في وزارةِ المـعارفِ بقولِ ذلك؟!

ولهـــذَا قلـتُ: يا ويلَنـا من الإعـــلامِ، ويا حسرتَنا من ناقلي الأخبارِ.

هُم حمَّلُونِي مَا لَم أَفُهْ بِه

ومَا آفَةُ الأخبارِ إلاَّ رُوَاتُها

هذا هُو الإعلامُ! له مـخاطرُه، وفـيه عـيوبُه، ولَه مـحـاسنُه. ولكنْ تعـلَّمتُ من ذلكَ الدرسِ أشياءَ كثيرةً.

وفي يومٍ من الأيـامِ دخلتُ مكتبَ مـعـالي وزيرِ المعارف الدكتورِ محمد بنِ أحمدَ الرشيد، وإذا به يُطالعُ تقـريراً منسوباً إلَيـه، نُشرَ بإحـدَى الجـرائد المحليَّة، وسلَّمني الجـريدةَ، وقـرأتُ مَا نُسبَ لَمعَاليـه، وهالنـي مـا رأيتُ، وهُو أنَّ وزيرَ المعارفِ يرَى أنَّ الفاشلينَ في الدِّرَاسـة يتفوَّقونَ على غَيرِهِم، وأنَّ الاختباراتِ لا قيمةَ لَها.

وعـجـبتُ من الأمـرِ، ونظرتُ لمعـالِيـه نظرةَ

استغرابٍ وسؤالٍ! وقالَ: هَل تُصدقُ ما نُشرَ.

قلتُ: لا أصدقُ أنَّ هذَا قولُك.

قالَ: ولكنْ سيعجبُ ويتساءلُ القُرَّاءُ والمُتلَقُّون لهذا الخبر، وسيقولُونَ هذا رأيُ وزيرِ المعارفِ، وهذا قولُ المسؤولِ عن التعليمِ.

وحرَّكَ معاليه الهاتفَ، وخاطبَ رئيسَ تحريرِ تلكَ الجريدة، وأنكرَ ذلك الخبرَ، وتعجَّبَ كيفَ يُقَوَّلُ ما لم يقُلْه؟! وكيفَ يُنسَبُ إليه ما لا يعتقدُه.

واتفقَ مع رئيسِ تحريرِ تلكَ الجريدة على تصحيحِ ما نُشرَ في اليَوم التَّالي، وأنْ يكونَ بالخطِّ العريضِ، وفي المكانِ نفسِه الذِي نُشرَ فيهِ الخبرُ.

وفهمتُ أنَّ معاليَه تحدثَ مع أحد الصحفيِّين عن الاختبارات، وأنَّها ليستْ ميزانَ ذَهَب، ولا معادلات رياضيات تكون نتائجُها حتميّةٌ، وإنَّما هي وسائلُ تقويمٍ يتفاوتُ المعلِّمونَ في صياغتها والتمكُّنِ من وضعها، ويترتَّبُ على ذلك نتائجُها، فيتقدَّمُ طالبٌ على آخرَ أجدرَ منهُ، أو العكسُ، كمَا ذكرَ معَاليه أنَّ بعضَ الطلابِ أخفقُوا في الاختباراتِ، ومعَ ذلكَ برزُوا في الحياةِ واشتهرُوا كمخترِعِ الكهرباءِ.

وبترَ ذلكَ الصحفيُّ الخبرَ، وحوَّرَ فيه وشوَّهَه، ونشرَه بتلكَ الصياغةِ الخاطئةِ.

وأتذكَّرُ أنَّ معالي وزيرِ المعارفِ السابقِ الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الخويطر حضرَ

حفلاً مسرحياً لإدارةِ التعليمِ في عامِ ١٤٠٥هـ.

وعلى العادةِ بعد انتهاءِ الحفلِ يحضرُ مندوبُو بعضِ الصحفِ، ومعهم أجهزةُ التسجيلِ، وحاصروا معالِي الوزيرِ، وشرَعُوا في إلقاءِ الأسئلة عليه. وأجابَ عن الأسئلة الواحدَ تلوَ الآخَرِ، حتَّى طرحَ أحدُ الصحفيِّينَ عليه سؤالاً يقتَضي الجوابَ علَيه أنْ يكونَ بنعَم أو لا. وفي كلتا الحالتين لا يحسُنُ تناوُلُ الموضوعِ المسؤولِ عنه عبرَ الإعلامِ، فما كلُّ أمرٍ يصلُحُ للنشرِ، وليسَ كلُّ مَا يُعلَم يُقالُ.

ولهذا شدَّ الأمرُ انتباهِي وتساءلتُ كيفَ سيتخلصُ معالِيه؟! وهل سيُجيبُ أم ماذا سيفعلُ؟!

وبكلِّ هدوء جمعَ أناملَ كفِّ يده اليُمنَى، ثُم وضعَ إصبعَه السبابةَ فوقَ أنفه، وأشارَ للسائلِ أن اسكتْ، وأبعدَ بيده الأخرَى جهازَ التسجيلِ، ثُم مشَى نحوَ سيارته.

إنَّها حركةٌ ذكيةٌ، صرفَ السائلَ وجهازَ تسجيله، وأفهمَه بعدمِ الإجابةِ بنعمْ أو لا.

لقَد كانَ معاليه مدرسَةً تعلَّمتُ منهاَ أشياءَ كثيرةً.

obeikandl.com

## ٣- الشريفة

أهي فتاةٌ، أم هي غزالٌ؟!

إنَّ في المَيْدان صوراً عجيبةً، ولدَى بعض المعلِّمينَ آراءً غريبةً، ويحصلُ من المدارسِ حالاتٌ محيرةٌ.

ولا غروَ؛ فعددُ العاملينَ في وزارة المعارف أكثرُ من مِائتَيْ ألْف مُوظَّف؛ منهم مِائةٌ وخمسونَ ألفاً يشغلونَ اللوائحَ التعليميةَ، ولا يُستغرَبُ حصولُ بعضِ الأمورِ النادرةِ.

وإيرَادي بعضَ الصورِ الغريبةِ التي علقَتْ بالذِّهن، وحوَتْها الذَّاكرةُ؛ لكَي يعلمَ القارئُ إن

كان معلماً خطأً ذلك التصرُّف، وخطلَ ذلك الإجراء، فيبتعدَ عنه، ويُنبهَ زملاءه إليه.

ومن ذلك حماقةُ بعضِ المعلِّمينَ، وتسرُّعُهم، وتصرُّفُهم الذي يؤدِّي إلى نتائجَ عكسيَّة عليهم، وعلى طلابِهم.

فالطالبُ يرغبُ من أُستاذِه العطفَ والحنانَ، والرفقَ والإكرامَ.

إنَّ التلميذَ إنسانٌ لَه مشاعرُ وعواطفُ، ولدَيه وجدانٌ وأحاسيسُ، الكلمةُ النابيةُ تُؤذيه، والعبارةُ الخشنة تُزعجُه، والتصرُّفُ الأرعَنُ قَد يتسبَّبُ في ضياعِه وفشلِه.

ويُخطئُ بعضُ المعلِّمين حينَ يعتقدُون أنَّ السيطرةَ على الفصلِ تكونُ بالخشُونةِ والغِلظةِ، وتتمُّ بالقسوةِ والفظاظةِ.

وإنِّي أتذكَّرُ برقيةً وصلتْ من أب أسهرَه ابنُه الصغيرُ، وأزعجَه طفلُه الوحيدُ، حيثُ صارَ يَهذي في نومه، ويحلمُ ويصرخُ ويُولَولُ: الشريفةَ الشريفةَ. وكأنِّي بهذا الطِّفل قد صارتْ الشريفُة كابُوساً يُزعجُه، وحُلماً يخيفُه، والأمُّ والأبُّ يرقبان فلذةَ كبدِهم وهو في هذهِ الحالةِ القاسيةِ، والصورةِ القاتمةِ.

وتخيَّلْ ـ أخي القارئ ـ طفلَك وقد مضى من اللَّيل أكثرُه، وقد صار يصرخُ ويصيحُ

ويقولُ: الشريفةَ، الشريفة.

فماذا ستقولُ؟! وكيف ستكونُ حالك؟! إنَّك ستسمِّي باللَّه علَيه، وستقرأُ على طفلك المعوِّذتين، وستحتضنُه، وتقبِّلُه، وتُضيءُ المصباحَ، وتُهدِّئُ من حاله. وإني لأرحمُك في تلكَ اللحظة، وأحسبُكَ تذرفُ دمعةَ الأبوةِ التي عبرَ عَنها الشاعرُ الأميريُّ بقوله:

هَيْهاتَ هيهاتَ ما كلُّ البكاءِ خَوَر

إنِّي وبِي عزمُ الرِّجالِ أبُ

ويقولُ ذلكَ الأبُ: معاليَ وزيرَ المعارف، أرفعُ برقيَّتي هذه لمعَاليكم، وبها أتقدَّمُ بشَكوى

ضـــدَّ المدرِّس (م.ح.ع) في مـــدرســـة (س.و) الابتـدائية، بإدارة التـعليم (م.ج). إنَّ هذا المعلمَ يحملُ عصاً يُهـددُ بها الطلابَ، ويهزُّها أمامَهم ويُسـمِّيـها الـشريفـةَ، ويُخـيـفُهم بهـا. وطفلي بالأمس أزعَجني وأرَّقني، وأسـهرَني، ويصـيحُ طولَ الليلِ: الشريفةَ، الشريفة.

هذه حـالةٌ غريبـةٌ، وتصرفٌ أهوجُ، وإجـراءٌ أرعنُ. وقـد تمَّتْ مـسـاءلةُ ذلكَ المعلمِ، وجـرَى تنبيهُه، وحوسبَ، وأُفهِمَ خطأَه.

وقـــد هاتفتُ ذلكَ المعـلمَ بعـــدَ أنْ وصلَتْني معاملةُ المساءلةِ، وأفهـمتُه بخللِ ذلكَ التصرفِ، وخطلِ ذلك الإجراءِ.

وأبدَى أسفَه، وأظهرَ ندمَه، وقال إنَّه: لم يكنْ يتصورُ تلكَ النتائجَ، ولم يكُن يتوقعُ أن الأطفالَ بهذهِ الصورةِ.

قلتُ له: ألا يوجدُ لديكَ أطفالٌ؟

قال: لم أتزوَّجْ بعدُ.

قلتُ: إنَّك لم تعرفْ عطفَ الأبوَّة وشفقتَها، وإذا تزوجتَ ـ إن شاء اللهُ ـ وأنجبتَ الأطفالَ عرفتَ ذلك العطفَ والحنانَ، وأدركتَ تلكَ المشاعرَ.

ووعدَني ذلكَ المعلمُ خَيراً. وأرجُو أن يفيَ بوَعده. وأتمنَّى أن لا يُدرِّسَ المراحلَ الأوليةَ إلاّ المعلمونُ الآباءُ الذين يعرفونَ طعمَ الأبوَّة.

وصورةٌ أُخرَى للمعلِّم (ع.ي.س) الذي كان يحملُ معَه سكِّيناً، ويضعهُا أمامَ الطلاب للتخويف والإرعابِ. وحين جرتْ مساءَلتُه قال: إنَّه يُحضرُها كوسيلة إيضاحٍ. وقد تمَّ إبعادُه عن التَّدريس، وتحويلُه لعملٍ إداريٍّ، حيثُ ثبتَ لدى اللجانِ تسرُّعُه وتعجُّله، وضَعفُه وقسوتُه.

إنَّ هذه التصرفات الخاطئةَ وإن كانتْ قليلةً لكنَّها مؤلمةٌ، ولا تليقُ بالتربويِّينَ، ولا تجدرُ بالعاملين في المدارسِ.

يقولُ العلامةُ ابنُ خلدون: ينبغِي للمعلِّم في مُتعلِّمه والوالدِ فِي ولدِه أن لا يستبدُّوا علَيهم في التأديبِ.

وكانَ اللهُ في عَون زُملائي مُديري المدارس على تلكَ العناصر المُزعجَة وعلى أولئكَ المعلمينَ المتخاذلينَ والنافرينَ من النظامِ والتعليماتِ، مع أني أجزم بقلّتهم ولله الحمد.

obeikandl.com

## ٤- العَدْل والقِسْطَاس

النظامُ جميلٌ، والعدلُ أجملُ.

وإذا احترمتَ الآخرينَ احترمُوك، وإذا صدَقْتَ معهم قدَّروك، وصاحبُ الحاجة ملحاحٌ، وينسَى جمهرةٌ من المُراجعينَ المُثلَ والقِيَمَ، وينشُدونَ استثناءَهم من هذا النظامِ، ويطلبُونَ تجاوُزَ تلك القواعدِ، ويُصبحُ رِضاهُم عنك مرهوناً بقضاءِ حاجاتِهم، ومدحُهم لك ملازماً بتسهيلِ مطالبِهم.

ويومَ كنتُ في وزارة المعارفِ وجدتُ لَوماً من إخوةٍ كرامٍ يطلبُونَ نقلَ أبنائِهم، خِلافاً

للضـوابطِ، ولقيتُ عـتاباً من أصـدقاءَ أحـبابٍ يرُومونَ منِّي الاستـجابةَ وتقديرَ الشفـاعةِ، حتَّى لو خالفتُ نظاماً يجبُ أن أرعَاه، أو قراراً يجبُ أن أحفظَه.

وكنتُ أُقابلَ المراجـعينَ في الصَّالةِ وأحدِّثُهم حـديثاً جـمـاعـياً، ليـعـرفُوا الموقفَ فـيعـذرُوا ويعلمُوا الحزمَ فينصرفُوا.

وكـان منهجُ الوزارةِ إبـلاغَ المراجـعينَ بهـذه القـواعِد عنـد مـراجَعَتِهم أو بالكتـابةِ لهم في مناطقِهم؛ لكيْ يعرفُوا النظامَ فيطمئنُّوا، ويعلمُوا بالعدلِ فيرتاحُوا.

وكان معالي وزيرِ المعارفِ الدكتورِ عبدالعزيز بن عبد الله الخويطر قد ألزمَ نفسَه بالحزمِ والعدلِ؛ فهابه الموظَّفون، واحترمَه المراجِعون. لقد كان أستاذاً تعلَّمتُ منه أشياءَ كثيرةً.

وإنِّي أتذكّرُ أنَّه وردَ لمعاليه خطابٌ يقولُ فيه صاحبُه:

معالي وزيرِ المعارِفِ الدكتور عبدالعزيز الخويطر حفظَه اللهُ:

السلامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه، وبعد.

لا يخفى عليكم أنِّي أرسلتُ لمعالِيكم عدداً

من الخطابات، ولم يصلْني رَدٌّ. وأنا يشهدُ اللهُ على أنَّ كلامي صحيحٌ، ويُثبتُ كلامي صورةٌ من (كرْت) العائلة برفقة هذا الخطاب، حيثُ إنَّ ولدي عُيِّنَ مدرِّساً بمنطقةِ نجرانَ وأنا بمدينةِ خميس مشيط.

أرجُو نقلَ ولدي ليقومَ بشؤون أخواته، ولا عندي بعدَ الله إلا هذا الولدُ، وأنتُم يا معالي الوَزير من كلِّ خيرٍ قريبٌ، ولا أقصدُ إشغالَكم عن أعمالكم الجليلة. لا والله إلا إنَّني ووالدتَه، طاعنينَ في السنِّ، والباقون إناثٌ. أرجُو من الله ثم منكم يا معالي الوزير النظرَ في موضُوعِي هذا والله يحفظُكم.

والد المعلم (م.ع.ق)

وشرحَ معاليه على هذا الخطاب بما نصُّه: سعادةَ الوكيل، كلُّ من كتبَ خطاباً للوزارة يجبُ أنْ يُردَّ علَيه، وإلا تكدَّستْ أعدادُ الساخطين الذين لا يعرفون أسبابَ عدمِ الاستجابةِ لطلبِهم. والإعلامُ ليس فيما يُنشَرُ في الصحف، ولكنْ في تنويرِ الأفراد بقضاياهم لكسبِهم إذا عرفُوا الأنظمةَ وأنَّها هيَ التي تحكمُ الأمورَ بالعدلِ والقسطاسِ.

الخويطر

نعم، بالعدلِ والقسطاسِ كانت الوزارةُ تعملُ، وإذا جعلَ المسؤولُ الأولُ من نفسه قُدوةً استراحَ وأراحَ، وذلكُم معالي الدُّكتور الخويطر

جزاهُ اللهُ خيرَ الجزاءِ وأوفاه، الذي أخذتُ من شرحِه على هذا الاستدعاءِ عنوان هذا الموضوعِ (العَدل والقِسْطاس).

وكان يحدثُ أنْ يأتيَ بعضُ المعلِّمينَ فيزعُمُونَ أنَّ غيرَهُم جرَى نقلُه، وهُم أحقُّ، أو تمّ تفضيلُه وهُم أجدرُ.

ونتثبَّتُ فلا نجدُ لقولِهم حقيقةً، ولا نعرفُ لادِّعائِهم مُستنداً، ونقعُ في حَيرةٍ، هَل نُحاسبُهم على ادِّعائِهم، أو نتجاهلُ قولَهم؟

وكان معالي الدكتور الخويطر يُوجِّهُ بالتَّحقُّقِ والتثبُّتِ، ومحاسبةِ المقصِّرِ أيّاً كان لكي يَعرفَ

الناسُ المنهجَ، ويعلمَ الجميعُ النظامَ، فيعذرُوا، ويكفُّوا عن المراجَعةِ والإحراجِ.

وتغيرَتْ الوزارةُ، وجاءَ معالي الأخِ الكريمِ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد، ووجدَ هذا المنهجَ القائمَ، فأقر ما كُنا نسيرُ بموجبه، وهو العدل والقسطاس أثابَه اللهُ، وتركتُ الوزارةَ بتقاعدي المُبكر، وأرجو أن يكونَ ذلك المنهج مستمراً، وذلك الإجراء قائماً.

هذا وكانَت المعاناةُ حينَ يزعمُ أحدُ المعلمينَ أنَّ زميلَه جرَى نقلُه في حين أن هذا الزميل يُخالفُه في التخصُّص، ومن ثَمَّ لا يجوزُ الاحتجاجُ؛ فمادةُ الرياضيَّات يختلفُ وضعُها عَن مادةِ الاجتماعياتِ وهكَذَا.

وأتذكَّرُ أنَّ معلِّماً جاءَ، واحتجَّ بأن زميلاً له يُماثلُه في التَّخَصُّصِ ويسبقُه في المُباشرة جرى نقلُه، وهُو أحقُّ منه. وتساءلَ: أين العدلُ؟! وأين النظامُ؟!

وأفهمتُه أنَّ الكمالَ لله وحدَه، وأنَّ الخطأَ قد يقعُ، وأنَّه ربَّما جرَى نقلُه لسببٍ مُقنعٍ ومُحدَّد، وأنَّه إن وجدَ شيءٌ من ذلك فهي حالاتٌ نادرةٌ؛ فالوزارةُ يتقدَّمُ إليها كلَّ عامٍ أكثرُ من عشرة آلاف معلِّمٍ يرغبونَ تعديلَ أماكنهم، ووجودُ حالةٍ أو حالتَينِ يُستثنَونَ من الضَّوابطِ لأسبابٍ خاصةٍ، وجوانبَ إنسانيةٍ معلومةٍ فذلكَ لا يعيبُ الوزارةَ.

ومع ذلك كلَّفتُ جهازَ المتابعة بالتحقيق في الأمر، وتبيَّنَ صدقَ قول هذا المُشتَكي، فقد دلَّسَ ذلك المعلمُ المنقولُ في الاستمارة المعَدة للنَّقلِ، وقدَّمَ تاريخَ المباشَرة، وفاتَ ذلك على الأقسامِ المختصَّة.

وقامت الوزارةُ بإلغاء نقلِ ذلك المعلمِ وإبقائه في مكانه، ولمدَّة عامين. فلا بُدَّ من الحزمِ والهيبَة، كما تمَّ محاسبةُ مُديرِ المدرسة والموظَّفِ المختصِّ في إدارة التعليم؛ حيثُ فاتَ عليهما التدليسُ والتزويرُ، ووقَّعا على الاستمارة المُعدَّة دونَ تثبُّتٍ، وبتَعجُّلٍ.

وصورةٌ أخرَى لمعلِّمٍ أرسلَ برقيةً أبكتْني، ورسالةً أرَّقَتني، يقولُ فيهَا:

وكيلَ الوزارة، أنا معلمٌ تعيَّنتُ في نجرانَ، ورضيتُ وقبلتُ، وباشرتُ العملَ هناكَ. وفي بداية الإجازةِ رجعتُ إلى أهلي في الباحة، إلى أحبَّتي، إلى أمِّي وأبي، إلى عُشِّهم الذي درجُوا فيه، وبلدتِهم التي تربَّيتُ فوقَ أديمِها، وتحتَ سمائِها.

وقد وقعَ عليَّ حادثٌ وأنا في الطريقِ؛ فقد كنتُ أتحدَّثُ معَ زوجتي ونحنُ عائدونَ، ونتكلَّمُ في الإجازةِ وجمالِها، وعن الأهلِ، وكيفَ نقضِي هذه الأيامَ القادمةَ؟

وبينَما كنتُ مستغرقاً في الأحلامِ مسترسلاً في الكلامِ وإذْ فجأةً انحرفَت السيارةُ (الجيب) التي أمتلكُها وأقودُها، وترنَّحَتْ شمالاً ويميناً، ثُم استقرَّتْ ولم أشعُر بنَفسِي إلا فِي المستَشفَى التي أكتبُ لكَ منها هذه الرسالةِ.

سعادةَ الوكيلِ، أنا مؤمنٌ بقضاء الله وقدَره، ولكنْ أخبرُكَ أن زوجَتي توفِّيَت في هَذه الحادثة. وأرفقُ لَكم شهادةَ الوفاة، وأرجُو أنْ تتفضَّلُوا باستثنائي من الضَّوابطِ المعتمدَة للنقلِ فلا أستطيعُ العودةَ إلى نجرانَ وقد فارقَتْني زوجَتي الحبيبةُ.

إنَّ حالَتي الإنسانيةَ صعبةٌ، وإنِّي أريدُ أن

أرعَى طفلتيَّ بينَ والدَيَّ هُنا في البـاحةِ. وأنا لا زلتُ في المستشفَى؛ فـقَد أُصِبتُ بكسورٍ. أسألُ اللهَ لزَوجتِي الرحمةَ، ولِيَ الشفاءَ.

ولكُم تحيَّاتي.

وهاتفتُ المذكورَ في المُستـشفَى، ورجوتُ له الشفاءَ، واتصـلتُ بإدارةِ التعليمِ التي يرغبُ في النقلِ إليـهـا، وعـرفتُ حقـيـقـةَ الأمرِ وصـدقَ أقوالِه.

وبناءً علـى ذلك تَمَّ اسـتـثناؤُه من جـمـيع الضوابطِ، وجرَى نقلُه تَقديراً لحالتِه الإنسانيةِ.

وهذا في نظَرِي هُو العدلُ والقِسْطاس الذي

تسيرُ بموجِبه الوزارةُ؛ فالقائمونَ على التعليمِ لهم مشاعرُ وعواطفُ، ولدَيهِم إحساسٌ ووجدانٌ، وينظرونَ للأمورِ من جميع الجوانب، وإذا لزمَ الاستثناءُ تمَّ؛ فلا يجوزُ أن يكونَ المسؤولُ آلةً صمَّاءَ تطبِّقُ الأنظمةَ فقَطْ، بَل هُو إنسانٌ يستقبلُ المراجعينَ، ويقرأُ المعاملات، ويعرفُ النظامَ، ويُوازنُ بينَ الأمورِ، ويجتهدُ، ثُم يتخذُ القرارَ، وفقَ قناعَته، وحسبَ المصلحةِ العامةِ.

obeikandl.com

## ٥- المعلم البلوي

اللهمَّ كُنْ في عونِ القائمين على التعليمِ، اللهمَّ وارزُقْهم الصبرَ، اللهمَّ وامنَحْهُم الحِلمَ.

وكيف لا أدعُو لهم وقَد عِشتُ مرارةَ المراجِعين، وذُقتُ قسوةَ المطالبِين، واكتوَيتُ بعتابِ الأقربين.

فهذا المعلمُ يرغبُ تلك المنطقةَ، وذلك يريدُ تلكَ المدرسةَ، والشافعُ يطلبُ أن تستجيبَ، وتبّا لك إنْ لم تحقِّق الرغبةَ، والقريبُ يرجُو، والويلُ لك إن لم تُقدِّر الوساطةَ، والصديقُ يأملُ والشَّنارُ لك إنْ لم تقضِ الحاجةَ، والزميلُ في العملِ يرى أنَّ له حقاً وأولويةً، وله حظوةً ومكانة.

حنانيْكَ ربَّاه؛ كيف العملُ في هذا الجوِّ الضَّاغط؟! ورُحماك إلهي؛ كيف الصبرُ في هذا المُحيطِ الخانقِ؟! وكيف الأداءُ في هذا الطوقِ الكاتمِ؟!

إنَّهم يقولونَ: لنا شفاعةٌ. ونقولُ لهم: عندنا عدالةٌ. ويقولُون: لنا وجاهةٌ. ونقولُ لهم: لدينا أمانةٌ. ولكنَّ الفَهمَ الخاطئَ، والظنَّ القاصرَ، والرأيَ الخاطلَ مشكلةُ المشاكلِ، وبليةُ البلايا.

ورحمَ اللهُ الفقهاءَ حينَ قالُوا: الحُكمُ على شَيء فرعٌ عَن تصوُّرِه.

ومن الصُّور التي أتذكَّرُها ذلك المعلِّم

البْلوي الذي اعتقـدَ أنَّ التعيينَ والنقلَ في وزارة المعارف يتمُّ وفقَ الشفاعاتِ والوساطاتِ، وهذا الاعـتقـادُ الباطلُ أزعجَ المسـؤولين في الوَزارة، وأصبحَ الهمُّ إقنـاعَ هذا وإفهامَ ذاك بأنَّ التـعيينَ والنقلَ يجريانِ وفقَ أسُس وضوابطَ معلنة، وأنَّ الأسماءَ تعلنُ في الصُّحفِ لكَي يعـرفَ الجميعُ أينَ عُيِّنَ هذا؟ وأينَ وُجِّه ذاك؟ فـوزارةُ المعارفِ تُعلِّمُ القـيمَ، وتُدرِّسُ الفـضـائلَ وهي الأجـدرُ بالعـدل، والأحـرَى بالإنصاف، فـلا يأخـذُ هذا حقَّ ذاك، ولا يُقـــدَّمُ زيدٌ على عَمـــرٍو إلاّ بحقٍّ مـعلومٍ، وبسـببٍ مـدروسٍ يقـنَعُ به كلُّ مطَّلعٍ، ويرضاه كلُّ معترضٍ.

هذا ما كان إبَّانَ عملي في وزارة المعارف. وأرجُو أن يستمرَّ ذلكَ المعيارُ، وأنْ يظلَّ ذلكَ الأساسُ.

المهمُّ أنَّ هذا المعلمَ البلويَّ عُيِّنَ في تبوكَ، وراجعَ في طلبِ نقلِه إلى الرِّياض. ولم يجدِ استجابةً؛ فهناكَ ضوابطُ وأسسٌ تُطبَّقُ على الجميعِ. وحينَ تعذَّرَ عليه النقلُ لجأَ إلى أحدِ الوزراءِ، وكتبَ إليه الرسالةَ التاليةَ:

يا معاليَ الوزيرِ الفاضلِ، إنَّني أحدُ المدرِّسينَ المتعيِّنينَ هذا العامَ، والخريجُ في كليةِ الشريعةِ بالرياضِ. وقد تمَّ تعييني بمنطقةِ تبوكَ، علماً بأنَّ

جميعَ أهلي بما في ذلك زوجَتي وطفلي هُنا بمدينة الرياضِ. وقد ضاقتْ بي الأمورُ، وعجزَتْ طاقاتي ومحاوَلاتي بنَقلي إلى مدينة الرياضِ. وكما تعلمُ يا معالي الوزيرِ قولَ النبيِّ ﷺ: «وإذَا استعانَك فأعنْه». وقولَ الله تعالى: ﴿مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾، وقولَه ﷺ: «الأقربون أوْلَى بالمعروف». وكما هُو معلومٌ لدَيكُم يا معاليَ الوزيرِ من صلةِ القرابةِ بينَنا وبينَكم، وسُكنَى الدِّيارِ، ومع هذا وذاك فنحنُ لا نعرفُ قَريباً يشفعُ لنا بذلك سواكَ.

فأرجُو أنَ تشفعَ لي عندَ معالِي وزيرِ المعارفِ

وأنْ تكونَ سَنداً لِي عندَه كما قالَ الصحابيُّ الجليلُ المجذَّرُ بن ذياد البلوي.

أنا الذِي يقالُ من بليّ

وأبناءُ عمِّي جهينة أسنائدي

ولعل الأخ المعلم روى هذا البيت المكسور والمحرف من ذاكرته ليُحرِّك همة الوزير الذي يشفع به. أما صحة البيت كما ورد في الاستيعاب لابن عبد البر (٤/ ٢٢) فهو:

أنا المُجَذَّرُ وأصلِي من بلِيّ

أطعنُ بالحربةِ حتَّى تَنثَنِي

ونعلمُ من هذه الرسالةِ أنَّه يستشفعُ بوَزير

من جُهينةَ. وكانَ الوزيرُ عاقلاً ومدركاً وناضجاً، فكتبَ إلى وزير المعارف على استدعاءِ المذكورِ ما نَصُّه: «معالي الأخِ الكريمِ أبا أحمدَ ـ كنيةُ وزيرِ المعارفِ ـ هذا رجلٌ لا أعرفُه، ولا أعرفُ شَيئاً عن صدقِ ما ادَّعَاه، وأتركُ الأمرَ لتقديرِ معاليكم».

وقد أحالَ معالي وزير المعارفِ هذه الشفاعةَ دونَ توجيه، وتركَها للنظامِ. وبهذا المنهجِ يكونُ الحزمُ والضبطُ، والقناعةُ والرِّضا.

هذا وقد قابلتُ هذا المعلمَ وأفهَمتُه منهجَ الوزارة، وأخبرتُه بالضوابطِ، وأنَّ العدلَ شعارُنا، وأنَّه لا محاباةَ في التعيينِ، ولا وساطةَ

في التوجيهِ. وقد بدأنَا بأنفُسِنا وقسَوْنا على أقربائنا، وما استجَبْنا لأصدقائنا لنكونَ قدوةً للآخرينَ؛ فهذا منهجُ التعليمِ، وهذا شعارُ التربيةِ الذي ارتضَيناهُ لذواتنا، ونَنشُدُ من الجميعِ قَبولَه، ونَرغبُ من الآخرينَ رِضاهُ.

وحين مقابَلَتي لذلك المعلِّم همَّ بالثَّناء والإطراءِ، وأرادَ أن يسترسلَ في المدحِ والإشادةِ، ولعلَّه ظنَّ أنَّ هذا أسلوبٌ ينفعُ. وما عرفَ أنِّي قد اقتنعتُ بما رواهُ الجاحظُ في رسائلِه حينَ قالَ[1]:

«فأمَّا ثناءُ المادحين لك في وجهكَ فإنَّما تلك

أسواقٌ أقامُوها للأرباحِ، وساهَلُوك في المبايعةِ، ولم يكُنْ في الثَّناءِ عليهم كُلفةٌ؛ لكسادِ أقاويلِهم عند الناسِ. أولئكَ الصادُّونَ عن طُرقِ المكارمِ، والمثبِّطونِ عن ابتناءِ المعالِي»(١).

ولهذا أوقفتُه عن القَول، وكفَفْتُه عن الإطرَاءِ وأرجُو أنْ يكونَ ذلكَ المعلمَ قَد تعلَّمَ الدرسَ وعرفَ، واقتنعَ ورضِيَ.

(١) رسائل الجاحظ: ١/ ١٢٩.

obeikandl.com

## ٦- الحَيْـرة

إنِّي أشـفـقُ علَى المسـؤولِ، وأرحمُ ذلكَ الرئيسَ، وأدعُو لـكلِّ مَنْ تولَّى عـمـلاً قـيـاديّا بالتَّوفـيق؛ فليسَ المركـزُ بالمغنـم ولا المكسب. وأصـعبُ قـرار على كلِّ مـسـؤول هُو اختـيـارُ أعوانِه، وترشيحُ مساعديه.

إنَّ الأمـرَ ليس من السُّهـولَة بمكان، فـليس يَسيـراً أن تختـارَ مسـؤولاً يشـدُّ عَضُدَك، وآخرَ يقوِّي أزْرَك.

وفي الأعـمـال القيـاديَّة التي تولَّيـتُهـا كنتُ أُعاني من هذا الأمْر، وصرتُ أتذكَّرُ قولَ رسُول

الله ﷺ: إنما الناسُ كَإبلٍ مائة، لا تكادُ تجدُ فيها راحلةً [١].

وكان أكبرُ هَمٍّ أتعامَلُ مَعَه في كلِّ سَنة إبَّانَ عملي في تعليم الرِّياض هُو ترشيحُ مُديري المدارس؛ فالمدرَسةُ بقائدِها، والسَّفينةُ بربَّانِها.

ولقد كنَّا نبحثُ عن الرَّجل القويِّ، والتربويِّ الأَمين، والأَب الرَّحيمِ، والتَّقيِّ الصالحِ، ولكنْ هيهاتَ هيهاتَ أن تتوافرَ هذه الصفاتُ في كلِّ شخصٍ؛ فالمطلوبُ في كلِّ عامٍ عشراتٌ.

ولقد كنتُ أقتَدي بما رواهُ ابنُ عبدِ ربِّه في

(١) صحيح البخاري: رقم (٦٤٩٨).
صحيح مسلم: رقم (٢٥٤٧).

كتابه (العِقْد الفَريد) من أنَّه قدِمَ رجالٌ من الكُوفة على عمرَ بْن الخطَّاب ـ رضيَ اللهُ عَنه ـ يشكونَ سعدَ بنَ أبي وقَّاص، فقال عمرُ: مَن يعذرُني في أهلِ الكُوفة؟ إنْ وَلَّيتُ عليهم التَّقيَّ ضعَّفوه، وإنْ وليتُ عليهم القويَّ فجَّروه! فقال له المغيرةُ: ياأميرَ المؤمنينَ، إنَّ التَّقيَّ الضعيفَ له تقواهُ، وعليك ضعفُه، والقويَّ الفاجرَ لكَ قوتُه وعليه فجورُه. قال: صدقتَ. فأنت لهم، فاخرُجْ إليهم. فخرجَ. فلم يزلْ فيهم أيامَ عمرَ، وصدراً من أيامِ عثمانَ، وأيامَ معاويةَ حتَّى ماتَ المغيرةُ.

وهكذا كنَّا نبحثُ عن القويِّ وصاحب الخبرَة والقيادَة، ونَكِلُ إليه الإدارةَ. وأحمدُ اللهَ

أنِّي لم أرشِّحْ طوالَ فترة عملي شخصاً لقَرابَته، أو امْرَأً لصَدَاقته؛ فالأمرُ للمختصِّينَ، والشأنُ للموجِّهينَ، ولكن كنَّا والله نحتارُ، وكانت الحيرةُ دَوماً تلاحقُنا، والحيرةُ معنا.

وكان اللهُ في عون الموجِّهينَ؛ فإنَّهم يتحرَّونَ ويجتهدُونَ، ويُصيبونَ ويُخطئونَ، فقد انفردَ اللهُ تعالى بالكمال، ولم يبرَأ أحدٌ من النُّقصانِ.

obeikandl.com

## ٧- حَسْناءُ في الإدارة

معلومٌ أنَّ إدارةَ التعليمِ مباشرةٌ للجُمهور، يتوالى عليها المراجعونَ، ويؤمُّها القادِمُونَ؛ وذلك لقضاءِ حوائجِهم، وإنجازِ مصالحِهم.

وأغلبُ المراجِعين رجالٌ، ومن النادرِ مجيءُ امرأةٍ للمُراجعة؛ فالرجلُ في بلادنا مسؤولٌ عن المرأةِ، ومُكلَّفٌ بخدمَتِها ورعايتِها وقضاءِ حوائجِها؛ فله القَوامَةُ، وعليه المسؤوليةُ، ولها الكرامةُ والعنايةُ؛ فهي الأمُّ والزَّوجةُ، وهي الأختُ والابنَةُ.

وإنَّه من خِلال مسيرَتِي الوظيفيَّةِ التي كان

منهـا عـشـر سـنوات في إدارة التـعـليم، ومع مـبـاشَرتي للمُراجـعين لم أجد المرأةَ تُراجعُ إلا نادراً، ولم أرَها قادمةً إلا قليلاً؛ فـالحياءُ يمنعُها، والرجالُ يرعُونَها، ويقومُونَ بشؤونِها.

وإنَّ الحياءَ نعمةٌ للمرأة؛ فهُوَ الحُسنُ والبهاءُ، وقـد وصفَ اللـهُ ـ عـزَّ وجـلَّ ـ الحـورَ العينَ الموعودَ بهم أهلُ الجنةِ بأنَّهنَّ قاصراتُ الطَّرف.

وابنتا نبيُ اللـه شعيب -عليـه السلام- حين وصلتا موردَ المياهِ منعهم الحياءُ مـن الـمُزاحمة ومُخـالطة الرجال وصـارتا تذودان الإبل حـتى يصدر الرعـاءُ ويذهب الرجالُ، وحين سألهـما نبي الله موسى -عليه السلام- ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا

قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.

ولهذا فالنِّساءُ يحتجبنَ، وإذا لزمَهنَّ حاجةٌ فإنهنَّ يراجعنَ بالهاتفِ، وكنَّا نقضِي حوائجَهن من خلالِه.

وإني أذكرُ سيدةً اتَّصلَتْ بالهاتفِ ذاتَ يومٍ، وغلبها البكاءُ، وكانت تطلبُ تعميدَ المدرسةِ التي بجوارِ مسكنِها أن تقبلَ ابنَها، وصارتْ تصورُ معاناتها، وأنَّ صغيرَها يقفُ بالبابِ وهي من خلفه، وهُو يشاهدُ الطُّلابَ يدخُلونَ ويخرجُونَ من المدرسةِ، وأنَّه يُخاطبُها ويُناجيها أن تسمحَ له بالذهابِ معَهم وأنْ تأذنَ له

باللَّعبِ معَهم، وأنْ تُرافقَه إلى المدرسةِ.

وقالتْ: إنَّ مديرَ المدرسةِ طلبَ شهادةَ ميلادِه، وأنَّ والدَ الطفلِ مُطلقٌ لها، وبينها وبينه جفوةً ونُفرةً، وأنَّه حجزَ شهادةَ الميلادِ لدَيه ويرغبُ بذلكَ تعذيبَها وإيذاءَها ، وأنَّ أباها كبيرٌ في السنِّ، ولا يستطيعُ مجادلتَه ومخاصمتَه، وإخوتُها صغارٌ، ولا يمكنُ أنْ يرافعُوه وأن يحاكمُوه، وكانت تَرجُو إبلاغ مديرِ المدرسةِ بقبولِه دونَ تلكَ الشهادةِ.

وأمرتُها أن تتصلَ بالمدرسةِ بعدَ يومٍ، وسوفَ تجدُ الخبرَ والجوابَ، وهاتفتُ مديرَ المدرسةِ

وسألتُه إن كان يعرفُ عن موضوعِ ذلكَ الصغيرِ أم أنَّه لا يعرفُ شيئاً.

وأجابني مديرُ المدرسةِ أنَّ والدَ السيدة شيخٌ كبيرٌ، وقَد قابله، وتمنَّى عليه قبولَ ولدَ ابنته، وأنَّه أخبرَه أنَّ زوجَها ظالمٌ وقاسٍ، ويريدُ التنكيدَ والتنكيلَ.

وقال المديرُ: إنَّ النظامَ لا يسمحُ بقبُول أيِّ طالبٍ إلا بالوثيقةِ الرسميَّة، وهُو ما حال دُونَ تسجيلِ ذلكَ الصغيرِ.

وعندَ ذلكَ قُلتُ لمديرِ المدرسةِ: اقبلُوا الطالبَ، وأرسلتُ إليه تعميداً من الإدارةِ،

وأفهمتهُ أن أُمَّ الصغيرِ سوفَ تتصلُ بهم، وعليهِم قبولُه فَوراً والاهتمامُ بِه ورعايتُه ومتابعتُه.

وطلبتُ من مديرِ المدرسةِ أن يرفعَ للإدارةِ عنه لكيْ نُخاطبَ الجوازاتِ ونطلبَ صورةً من شهادةِ ميلادِ ذلك الطفلِ.

وصُورةٌ أخرَى أتذكَّرُها، فقد زارَني ذاتَ يومٍ في إدارةِ التعليمِ في الرياضِ رجلٌ طويلُ القامةِ، ضَخمُ الجُثَّة، أسودُ اللَّونِ، وعرفتُ منه أنه قائدُ سيارةِ وقودٍ، وأنَّه يَقضي وقتَه متنقِّلاً بينَ مناطقِ المملكةِ.

وقد روى أن ابنتَه أرَّقَتـه مساءَ البـارحة، وأنَّ دُموعَهـا أسهرَتْه بالأمسِ؛ وذلكَ أن زوجَهـا قد طلَّقَها وتركَ مـعها طفـلاً صغيـراً، وأنَّه يقيمُ في قَطر، والبنتُ ترغبُ أنْ يلتـحقَ ابنُها بالمـدرسةِ، وتعذَّرَ ذلكَ بسببِ شهادةِ الميلاد، وعدمِ توافرِها لدَيهم، وطلبَ الرجلُ أن نقـبلَ ابنَ ابنتِه بصـفةٍ مؤقتةٍ ريثما يحضرُ شهادةَ الميلادِ.

وقال الرجُل: واللَّهِ ثُم واللَّه لأذهـبنَّ إليه في قَطر وأحـضـرَ منُه المطلوبَ، والـويلُ له إنْ لم يستجِبْ.

وقـد أكـبـرتُ في الرجلِ اهتـمـامَه بابنتِه،

ورعـايتَه لطفلِها، وحـرصَه على إسعـادِها، وتم تعميد المدرسة بقبول ذلك الطفل.

هذه حالُ المرأةِ في المملكة، حاجـاتُها مرعيَّةٌ، وأمورُها مقضيَّةٌ، وحقوقُها محفوظةٌ.

وصورةٌ أخرَى غريبةٌ على مجتمعِنا، حدثَتْ ذاتَ يومٍ في إدارةِ التـعليـمِ بالرياضِ، فـقُبَيلَ صـلاةِ الظهرِ جـاءني في المكتبِ أحدُ المفـتِّشينَ الذين أوشَكُوا على الـتـقـاعـدِ، وهُو من خِيـرةِ الرجالِ أمانةً وخُلقاً ومعرفةً وخبرةً.

وقال: يا أبا تُركي، إنَّ في الإدارةِ حسناءَ تَتيهُ بجـمـالِهـا، وإنَّ الموظَّفـينَ قـد رَاعَهم حُسنُهـا،

وإنَّهُم يتسابقونَ في خدمتِها.

قلتُ: وكيف عرفتَ بجمالِها ؟!هل أظهرَتْ زينتَها؟ وهل كشفَت عن محاسنِها؟

قال: إي واللَّه، إنَّها طويلةُ القامةِ، مملوءةُ الجِسمِ، ضامرةُ الخَصرِ، دعجاءُ العينِ، كحلاءُ الجَفنِ، وأنَّه جاءني إلى المكتب مَنْ أخبرَني عنها، وطلب أنْ أذهبَ لأنصحها بالسّترِ.

قلتُ: وماذا فعلتَ؟ قال حين رأيتُها راعنى حسنُها، وبهرَني جمالُها، وسحرَني عِطرُها، وقتلني لحظُها.

قلتُ: لعلَ جريراً يَعنيها بقولِه:

إنَّ العُيُونَ التـي في طرْفِهـا حَوَرٌ

قـــتـلْنَنَا ثُم لَم يُحْيِينَ قـــتْلانَا

يصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتَّى لا حراكَ بِه

وهُنَّ أضـــعفُ خلقِ اللهِ إنســـانَا

قال: إي واللهِ، ولقد لمحتُ كفَّهَا، وحسبتُها صاحبةَ حُميدِ بنِ ثورٍ التي يقولُ فيها:

مُنَعَّمـــةٌ لو يُصـــبح الذَرُّ ســـارياً

على جلدِهـا نضّتْ مـدارِجُه دَمَا

بَل أظنُّ أنَّ قَيْسَ بن ذُرَيحٍ قـــد قـال في هذِه منذُ أمدٍ بعيدٍ:

يكادُ حَبــابُ الماءِ يَخْدِشُ جِلدَها

إذا اغتـسلَت بالماءِ من رِقّةِ الجِلدِ[١]

ولَو لَبِسَتْ ثوباً من الوَردِ خـالصاً

لخـدشَ منهَا جـلدَها ورقُ الوردِ

يُثــقِّلهــا لُبْسُ الحــريـرِ للِينِهــا

وتشكُو إلى جـاراتِها ثِقلَ العِقـدِ

وأرحمُ خَدَّيْهــا إذا مـا لحظتُهــا

حِذاراً لِلَحـظِي أن يؤثِّرَ فـي الخَدِّ

قلتُ: ومـاذا عملتَ؟ وهل أمـرتَها بالسّتـرِ،

(١) حباب الماء: ما يعلوه من زبد، أو فقاقيع.

وعـرفتَ حاجـتَهـا، ووعظتَهـا، وصرفـتَهـا من الإدارةِ.

قال: لا.

قلتُ: أرجوكَ، اذهبْ لنُصحِها.

قـال وقـد وقفَ: لا والله، لا واللهِ، ثُم ولَّى وهُو يضحكُ، ويعلنُ عجزَه وضعفَه.

قلتُ: سبـحانَ اللهِ، لعلَّها قَد أنهتْ حاجـتَها وخرجَتْ من الإدارةِ.

وبعدَ بُرهة من الزمنِ، إذا بي أسـمعُ الصوتَ الناعمَ لدى مُدير مَكتَبي، وإذا بـالرائحة تفـوحُ، والعطرَ يموجُ، ومـا هي إلا لحظاتٌ وتدخلُ عليَّ

في المكتبِ، وتقدِّمُ خطاباً مطبوعاً، ورسالةً منسوخةً، وقد خلطَت حُسناً بطيبٍ، كما قال عُمرُ بن أبي رَبيعةَ:

صَلْتَة الخَدَّيْن خَوْد

خَلَطَتْ حُسْناً بِطيبِ[1]

وعلى الفَورِ استدعَيتُ مديرَ المكتَبِ، وذلَكَ المستخدمِ النشطِ، ووقفُوا يرقبونَ هذا الموقفَ الفريدَ، وهذه الحالةَ النادرةَ.

وحينَ نظرتُ في الأوراقِ عرفتُ أنَّ المرأةَ ابنةُ أحدِ المعلِّمينَ الوافدينَ، وأنَّها ليسَتْ سعوديةً،

(١) صلتة الخدين: ملساء الخدين. والخود: الشابة الحسنة الناعمة ما لم تصر نصفاً.

وترغبُ تجديدَ تأشيرةِ والدِها، الذي سافرَ وتركها في مدينةِ الرياضِ مع إخوتِها وأمِّها.

وقد وعظتُها وأمرتُها بالسّتر، وقلتُ لَها: اخرُجي وسوفَ نُرسلُ الأوراقَ رَسمياً، ودَعي أخاكِ أو صديقَ أبيكِ يراجعْ.

وكررتُ وعظَها، وزجرَها، وخوَّفْتُها باللهِ؛ وخرجَتْ من المكتبِ.

وقلتُ: ويلٌ لكُنَّ.

وحمدتُ اللهَ أنَّ المرأةَ في بلادي مُصانةٌ، وأنَّها في وطني محفوظةٌ، وأنَّ أمثالَ هذهِ الفتاةِ نوادرُ وشواذٌّ.

## ٨- أبُـو هنـود

زرتُ في عام مضى إحدَى المَناطق التَّعليميَّة، وتجـوَّلْنَا في عدد من المدارس، ووجـدْنا بعضَهـا قد سـاءت حالُهـا، وضاعت قـيادتُها، وغـفلت إدارتُهـا؛ فـالطلابُ شَذَرَ مَذَرَ، والمعلِّمـونَ في خصـامٍ وخلاف، وساحاتُ المـدرَسة وفصـولُها بائسـةٌ، فـلا نظافـةَ ولا صيـانةَ، ولا رعـايةَ، ولا عنايةَ، وحسـبتُ تلكَ المدرسةَ الأرملةَ المرضـعةَ التِي قالَ الرَّصافيُّ عَنها:

لقـيـتُهـا ليـتَنِي مـا كنتُ ألقـاها
تمشِي وقـد أثقـلَ الإمـلاقُ مِمْشـاها
أثوابُهـا رثَّةٌ والرِّجلُ حـافـيـةٌ
والدمعُ تَذْرِفُه فـي الخـدِّ عـيْناها

بكتْ من الفَقرِ فاحمـرَّت مدامعُها

واصفرَّ كالورسِ[١] من جوعٍ مُحَيَّاها
مات الذِي كـان يحميها ويُسـعدُها

فـالدَّهرُ من بعــده بالفَقـرُ أشـقَاها
الموتُ أفـجـعَهـا والفـقـرُ أوجَعَهـا

والهـمُّ أنحـلَهـــا والغـمُّ أضْنَاها
فـمنـظرُ الحُزنِ مـشـهــودٌ بمَنظرِها

والبــؤسُ مــرآةٌ مــقــرونٌ بمَرآها
تمشِي بأطمـارِها والـبـردُ يلسـعُهـا

كــأنَّه عـقــربٌ شــالَت زُباناها[٢]
تمشِي وتحـملُ بالـيُسـرَى وليـدتَهـا

حمـلاً علَى الصَّدر مدعُومًا بيُمناها

---

(١) الورس: نبت أصفر يصبغ به. المحيا: الوجه.

(٢) شالت: ارتفعت. والزبانة: الذنب.

وحين رأينا سوءَ تلكَ المدارس لُمتُ نَفْسي، وعاتبتُ مشاعري، فأنا مسؤولٌ، وسوفَ يحاسبُني اللهُ على القُصور والغَفلة، ونظرتُ لمُدير التَّعليم نظرةَ عِتَاب وحَسرَة، وساءلتُ مديرَ المدرسَة: لماذا الإهمالُ؟ وأين الرِّقابةُ؟ ولماذا التَّقصيرُ؟ وأينَ المتابعةُ؟ أليسَتْ التربيةُ أمانةً؟ أليسَتْ العقولُ جوهرةً؟ وتلعثمَ مديرُ المدرسَة، وارتبكَ الوكيلُ، وذُهلَ المُشرفُ.

وتوقفتُ عندَ ثَلاثة من المُستخدمينَ تحلَّقُوا حولَ إبْريق شَاي، وكانُوا يتبادلُونَ الأحاديثَ وكأنَّهم في مجلس سَمَر، وقلتُ لَهم: لماذا مدرستُكم سيئةٌ؟ ولماذا هذه العلبُ الفارغةُ؟ وماذا تريدونَ بتلكَ العُلب؟ ولماذا تركتُمُوها

على مَرْأى منَ الطُّلاب؟ وهـذه بقـايا الأطعـمَة يمنةً ويسرةً ووسطَ الأفْنيَة، وتلكُم الميـاهُ المنسابةُ، أين أنتُم منهَا؟!

وتلفَّتَ أولئك المستخدمـون، ونظرَ بعضُهم إلى بعض، وحرَّكوا مسـابحَهم وقهقَهُوا، وقالُوا بصَوت جمـاعيٍّ: أبُو هُنود، ها هو يؤدِّي عملَه. ولماذا تُسـائلُـنـا؟! اذهبْ إليـه وراقـبْه، ووجِّهْهُ، ولا تتـدخَّلْ فيـما لا يخـصُّك؟ قالُوا ذلك وقـد ظنُّوا أنِّي صاحبُ المؤسَّسـة. وكان مديرُ المدرسَة يرقبُ الأمـرَ، ويكادُ يقـولُ لهم: اسكُتُوا، قُومُوا تحـرَّكُوا، وأحـسبُ أنَّ هؤُلاء المستخـدمين قـد عَرفُوا شخصيةَ مُديرهم، وأنَّها ضعيفةٌ، ومن ثم

لم يحسبُوا له حساباً، ولم يُلقُوا له بالاً.

وقد ذكَّرني هذا المشهدُ بأبياتٍ شعريةٍ لأخِي الأستاذ/ حسن بن محمد الزهراني، قالها في قصيدتِه (هُموم المديرِ):

وعجبتُ مِن عُمَّالنا إذْ لم أجدْ

منهم لما يُسدي المديرُ شكورا

يتناوبون على الغِيابِ فإن أتَوا

ناموُا وبثُّوا في الفضاءِ شخيرا

هذا وكنتُ في جولاتي لا أظهرُ نَفسي بصفَتي مسؤولاً، ولا أُحيطُ ذاتي بأيِّ مظْهَر يدلُّ

على مـركـزي الوظيـفـيِّ، بلْ أحـاولُ أنْ أزورَ المدارسَ وأتنقَّلُ بينَهـا، وكأنِّي معلمٌ أو مـشرفٌ تربويٌّ، بـل أُحـاولُ أنْ أبدوَ كـمـواطن يزورُ مـدرسـةَ أوْلاده، فـلا يرافـقَني أحـدٌ، ولا ألبس البشتَ، ولا أخبرَ المدرسةَ بموعد زيارَتي.

ولقد تركتُ أولئـك المستخـدمين، وغادرتُ تلك المدرسـةَ، وفي النَّفس لوعـةٌ، وفي الفُؤَاد حـسرةٌ. وأوحى لي هذا الموقـفُ بالتَّفكير الجـادِّ في موضُوعِ نظافةِ وصيانةِ المدارسِ.

فلماذا لا نَسـتَغني عن هذه الشَّركات؟ ولماذا لا نُوفِّرُ هذا الجهـدَ؟ ولماذا لا نربِّي الطلابَ على النظافَة؟ ولماذا يـتـواكلُ هؤلاء المسـتـخـدمـون

وكأنَّهم في دَار رعاية اجتماعيَّة؟ ولماذا لا نبحثُ عن أسلُوب آخـرَ؟ ولماذا لا تُصـرفُ المبـالغُ لمُديري المدارس، وهُم بدورهم يستخدمون الأسلوبَ الذي يرَونه؛ إمَّا بتَكليف عمالَة من السُّوق من السعوديِّين أو غيرهم، أو الاتِّفاق مع المؤسَّسات مباشرةً، أو تكليف المستخدمين في المدارس بالعمَل الإضافيِّ، والصَّرف لهم وهُو ما أميلُ إليه وأحبِّذُه؛ فهُم أحوَجُ، والمالُ لدَيهم أنفعُ للوَطن من صرفه لعمالة وافدَة؟ وكذلك سوفَ يهتمُّ مديرُ المدرَسة بالأمْر؛ فقد صارَت كلُّ الأمور من مسؤوليَّته المباشرَة؛ فهو الذي اختارَ العمالةَ بنَفسه، وليسَتْ إدارةُ التَّعليم أو الوَزارةُ.

ولهذا بعد أنْ عُدتُ إلى الوَزارة تفاهمْتُ مع مُدير التَّعليم في تلك المَنطقَة، وتمَّ تَعميدُه بمحاسَبة مُدير المدرسَة ووكيلها، وجرَى إبعادُهما عن العَمل القياديِّ، فالسَّفينةُ من قائدها، وجرى تنبيهَ المُشرف المُتَابع لتلك المدرسة، وتمَّ مناقشة موضوعِ النَّظافة في الوزارة، وشُكِّلَت اللِّجان، وتقرَّر إيقافُ العمَل مع الشَّركَات، واقترحت الوزارةُ أسلوباً جَديداً، وهو أنْ تُصرفَ الاعتمَادَاتُ الماليَّةُ لمُديري المدارس بواقع مائة ريال لكلِّ فصل في كلِّ شهر، على أنْ تصرفَ هذه المبالغُ بمعرفة لجنَة تُشكل في كل مدرسة، وتُعدُّ محضراً يُوقَّعُ عليه ويُحفظُ في المدرسة، ولا تُقدمُ فواتيرُ ولا

مستنداتٌ بكيفيَّة الصَّرف، ويُعتمدُ عددُ الفُصول لكلِّ مدرسة من الجهةِ المُشرفة، ثُم تقومُ الشُّؤونُ الماليةُ بصرف المبلغِ المحدَّد. وقد تم الكتابةُ لوَزَارة الماليَّة بهذا الأسلُوبِ الجديد، حيثُ لا بُدَّ من مُوافقتهم على إجازة هذا الإجرَاء.

وقد تابعتُ شخصيّا هذا الأمرَ في وزارة الماليَّة، وقُمتُ بنَفسي بشَرح الفكرَة، وإيضاح الهدف التربويِّ والاجتماعيِّ والوطنيِّ، وقد استجابت وزارةُ الماليَّة، ووافقَتْ على عرضِ الوزارة، وحين وردَ خطابُ وزارة الماليَّة بالمُوافَقة برقم (١٢/ ٢٤٤٦) في (١٧/ ٢/ ١٤١٧هـ)، قبَّلتُ ذلك الخطابَ بصفَتي مواطناً، وقبَّلتُه

بصفَتي مسؤولاً تهـمُّه بلادُه، ويودُّ القضاءَ على الأسلُوب البيـروقراطيِّ العَقـيم، فلا بُدَّ من زَرعِ الثـقَة، وإعطاءِ مُديـري المدارس الصَّلاحـيَّات الماليَّة والإداريَّة؛ فلدَيهم ما هُو أهـمُّ من المال، إن عندَهم العقولَ وثروةَ المستقبلِ.

obeikandl.com

## ٩- المعلمون والنصاب

رُحماكَ ربِّي! كيف يرضى المعلِّمون؟!

حنانَيْك إلهِي! كيف يقنعُ المربُّون؟

تعدَّلَت رواتبُ المعلِّمين فما زالُوا غاضبِين!
وتحسَّنَتْ أُجورُ المربِّين فظلُّوا مُتمَلْمِلين!

تحاوَرْنا في الوَزارة حولَ رِضاهُم فما نَجحنا، وتناقشْنا بشأنِ نِصابِهم فما اتَّفَقنا!

وفي كلِّ لقاءٍ نسمعُ الشكوى من النِّصابِ، وفي كلِّ مناسبةٍ نجدُ الحوارَ حولَ النِّصابِ.

وفي أحدِ اللقاءات قُدِّمَتْ لي قصيدةٌ لأخِي

الشاعرِ المدرسِ حسن أبو علّه، وسألتُ عنه فلم يكُن موجوداً في ذلك اللقاءِ .وكـانت القصيدةُ تقولُ:

دَعـيني وقـولَ الشِّعـرِ إنْ نابَني ضُرُّ

أُسَلِّ بِهِ هَمِّي فـقـد ينـفعُ الشِّعـرُ

تهـونُ رَزَايا الـدهرِ لولا شـمـاتةٌ

تراهـا مِن الرَّازينَ إنْ عَضَّكَ الـدَّهرُ

لو انِّي حَمْلَتُ النَّفسَ يومـاً على الرَّدَى

تذُوقُ زُؤام المـوتِ كـان لـيَ العُذرُ

ولكنَّ كـــأسَ الموت بغَّض شُرْبَهـــا

إليَّ عـــصـافـــيـــرٌ يعُجُّ بهـا وكـــرُ

أيكـشفُ عـنك الـضُّرَّ منْ لا يـرُدُّه

وليس بـغـــيـــرِ اللهِ ينكـشفُ الضُّرُّ

أُعاني مـن التَّدريسِ عِشرين حـجةً

طَوارِقَ أحـزانٍ يضـيقُ بهـا الصـدرُ

وأحـمـلُ يا سَلمى نِصـابـاً مُروِّعـاً

تخـــورُ القُوَى منه وينقَطعُ الـظَّهـرُ

نصـــاباً لـه عُمـــرٌ مـــديدٌ كـــأنَّمـــا

هُو الدَّهرُ لايَبلى ولا يـنقُصُ العُمـرُ

أأَحـملُه بِضـعـاً وعِشــرين حـصـةً

على كــاهلِي حـتَّى يُغـيِّبَنـي القَبـرُ

لـقَد كـنــتُ حَمَّالاً لَهـنَّ وسَاعِدِي

قَويٌّ وأيَّامي شــبــيــبــتُهــا بكرُ

ومنْ قــاربَ الخــمــسـين أيقنَ أنَّه

جَفَاهُ الصِّبَا الزَّاهي وريعــانهُ النَضْرُ

فليتَ شــبــابي كـالنِّصــابِ دَوامُه

تصـدُّ البِلى عَنه التـعـاميمُ والأمـرُ

ولِلهِ أتـعــــابُ المـعلِّم نَفْعُهــــا

إلى غــيــرهِ يعزى ولـيس له شُكْرُ

يُؤرِّقُـــه الإعـــدادُ إنْ جـنَّ ليـلُه

وتُنهكُه الأعــمـالُ إن بزَغ الفـجـرُ

تراهُ وقـــد هدَّتْ قُـــواهُ دفـــاترٌ

وأوشكَ بالحــوباءِ ينفـجـرُ الـنَّحْـرُ

يُفـيقُ من التَّـصـحيـح بعد فـراغِـه

إفــاقـــةَ مَـصـــروعٍ تملَّـكهُ ذُعـــرُ

ويَبلـى ومـا تُبـلي الليـــالِي نِصـــابَه

يُحمَّلُ وهـوَ العودُ مَا يَحـملُ البِكرُ

يلومُكَ في التَّـدريـسِ من لَم يُعـانِه

ويغـبطُ من لم يَـدرِ مـا طعـمُـه المُرُّ

مظاهرُ يَستَهوِي النفوس بريقُها

ومِن دُونِ مَا تُخفيه من زَيفِها سترُ

ولقد أجاد المعلمُ الشاعرُ، والمربِّي الفاضلُ، وكم كنت أتمنى أن لا يزيد نصاب المعلمين عن عشرين حصة. ولكن هيْهاتَ هيهات. فليس الأمر سهلاً!. فوزارةَ المعارف حينَ خَفَّضَت نصابَ المدرِّسينَ من ثمانية وعشرين حصةً إلى أربعٍ وعشرين قبل عشرين عامًا زادت أعدادُ المعلِّمينَ قرابةَ أربعةِ آلافِ معلِّمٍ.

وترتَّب على ذلك وظائفُ جديدةٌ، ورواتبُ كثيرةٌ، وهو ما يُعانيه القائمون على التَّعليمِ، وما تتطلَّبُه مثلُ تلك القرارات.

ولكي أحاورَ المعلِّمين وأُقنعَهم، وأناقشَهم مناقشةً علميةً مُوثَّقةً، فقد رأيتُ بعد أنْ تولَّيتُ مسؤوليةَ وكالةِ الوَزارةِ أنْ تقومَ الوزارةُ بدراسة مستفيضةٍ عن نصابِ المعلِّم، في عددٍ من دولِ العالمِ لنعرفَ أينَ نحنُ؟

وجاءت الدراسةُ لتؤكدَ سلامةَ إجراءِ الوزارةِ؛ فمعظمُ دول العالمِ تُماثلُ المملكة فيما تُكلفُ به المعلِّمين. وكانَت دراسةً تناولت الأمرَ من جميع جوانبه. يقولُ ذلكَ التقريرُ الذي أعدَّتْه الإدارةُ العامةُ للبحوث في وكالةِ الوزارةِ للتطويرِ التربوي:

إن الأنظمةُ التعليميةُ تتفاوت في طريقةِ تحديدِها نصاب المُعلِّم من الحِصص التدريسية الأسبوعيَّة تَبعاً لاختلاف التركيبة العامة لتلك الأنظمة. ففي بعضِ البُلدانِ يتمُّ تحديدُ النصاب من قبل السلطة المركزية، في حين أنَّ بلداناً أخرَى قد تتركُ الحريةَ للمناطقِ، أو حتَّى للمدارسِ لتحديدِ أنصبةِ معلِّميها في ضَوءِ ظروفِها الخاصة.

ولدى استعراضِ التجاربِ العالمية المختلفة، فإن الحديثَ عن نصابِ المعلمِ مُرتبطٌ بالحديثِ عن تلك التجارب ونجد ما يلي:

١- يُحدَّدُ نصابُ المعلِّم وَفْقاً لاختلافِ الموادِّ الدراسية والمستويات، فالمعلمُ الَّذِي يقومُ في الغالبِ بتدريسِ مادةٍ واحدةٍ على عدة فصولٍ من المستوى نفسه يختلفُ عن المعلِّم الذي يقومُ بتدريسِ مادة أو موادَّ في مستوياتٍ مُختلفة؛ ذلك أنَّ عدد مرَّات التحضيرِ تختلفُ تبعاً لذلك. وهذا أمرٌ يُفَضَّلُ أخذُه في الحُسبانِ (اختلافُ النِّصابِ وفقاً لعَدد مرَّات التَّحضيرِ) كما أنَّ طبيعةَ المادةِ (علميةً أو أدبيةً) ومدى علاقة تنفيذ دروسها بالمعامِل والمختبراتِ أمرٌ مهمٌ أيضاً.

٢- طولُ اليـوم الدراسيِّ: فـإذا تخلَّلَ اليـومَ الدراسيَّ فـتـراتٌ مـن الراحـة وتـناوُل المرطبـات والطعـام فـإنَّ ذلكَ يعني تحـديدَ عددٍ أكـبرَ من الحصـصِ التي تُكَوِّنُ نصابَ المعلِّم.

٣- طولُ العام الدراسيِّ: يعـتمدُ تحـديدُ نصاب المعلمِ على طول فـترة الإجـازة التي يتمـتَّعُ بها.

٤- الظروفُ المحـيطةُ بالـعـمل: فكلَّمـا توافـرَ المبنَى الملائمُ والتـجهـيـزاتُ اللازمةُ كـانت البيئةُ المدرسيةُ مشجعةً على تنفيذِ عدد أكبرَ من الحصصِ اليوميةِ، والعكسُ صحيحٌ.

٥- توافُر من يقــومُ بأعــمـالِ السكـرتاريةِ في المدرسـة؛ إذ إنَّه مـتى وجــد المدرسُ نفـسَه منهمكاً في أعـمال كتابيَّة وإداريَّة اسـتدعى الأمـرُ تخفـيـضَ نصابه من الحـصصِ حتَّى لا يفقدَ التدريسُ فعاليتَه وأثرَه.

٦- نسبــةُ الطلاب إلى المعلِّم: يَزيدُ الـنصـابُ وينتـقصُ حـسبَ نسـبـة عـددِ الطلاب في المدرســة إلى عــددِ المعـلِّمين. ويلاحَظُ أنَّ نسـبـةَ ٢٥ إلى ١ هي النسـبـةُ المقـبـولةُ في الغالب.

٧- عــددُ الطلابِ الذين يقــابلُهم المـعلمُ، أي الذين يقـومُ بتـدريسِهـم في اليَوم الواحـدِ يكادُ يكونُ الحدُّ الأعلى هو ١٥٠ طالباً.

٨- حجمُ الفصلِ (عددُ الطلابِ في الفَصلِ): إذ إنه كلَّما ازدحمَت الفصولُ قلَّ عطاءُ المعلِّمِ، ومن ثم تكونُ مطالبتُه بعدد كبيرٍ من الحصصِ مطالبةً غيرَ مقبولة. ويشارُ في هذا الصددِ إلى أنَّ العددَ المقبولَ هُوَ ٢٥ طالباً في الفَصل الواحدِ (على اعتبارِ أن مساحةَ الفصلِ ٤٨ متراً مربعاً).

٩- المرحلةُ الدراسيةُ التي يعملُ بها المعلمُ: إذ يقلُّ النصابُ في بعضِ المراحلِ عنه في المراحلِ الأخرَى.

١٠- خبرةُ المعلِّمِ أو سنواتُ خدمته: يكلَّفُ المدرسُ المتميزُ ذُو الخبرةِ عادةً بأعمالٍ

إشـرافيـة، ممَّا يؤدِّي إلى خـفضِ نصـابِه من الحصصِ.

من هُنَا فـإنَّه لدَى استـعراضِ تجـارِبِ الدول الأخرَى مِن حـيثُ أنصبـةُ المعلمين لم يكنْ من الممكنِ إجراءُ مقارنةٍ تبعثُ على الاطمئنانِ لعدمِ توافر معلومات دقـيقة عن كلٍّ من هذه العواملِ في جَـمـيعِ الدول مماً يجـعلُ مـقـارنةَ أعـدادِ الحـصـصِ التي يكـلَّف بهـا المعلمُ بـينَ دولةٍ وأخرَى إنَّمـا يأتي من بابِ الإحصـاءِ الوصفيِّ. وعلينا أن نربطَ ذلك بتـقـديراتنا الخـاصة المبنيـة على ما نعطِيه مِن أهميةٍ للعواملِ السابقةِ الذِّكرِ.

وفيما يلي عرض لتلك التجارب:

**التجربة الخليجية:**

يتراوَحُ نِصابُ المعلِّمِ الأسبوعيِّ في المرحلةِ الابتدائيةِ في دولِ الخليجِ العربيةِ (الإمارات ـ البحرين ـ عمان ـ قطر ـ الكويت) بين ٢٢ - ٣٠ حصةً. وفي المراحلِ الأخرَى بين ١٨ - ٢٦ حصة. وبهذا يكونُ معدلُ نصابِ المعلمِ الأسبوعيِّ كالآتي:

المرحلة الابتدائية ٢٤ حصةً.

المرحلة المتوسِّطة والثانوية: ٢١ حصةً.

معَ ملاحظةِ أنَّ طولَ زمنِ الحصةِ يتراوَحُ بينَ ٤٠ إلى ٤٥ دقيقةً باستثناءِ دولةِ البحرَينِ، حيثُ يكونُ زمنُ الحصةِ خمسينَ دقيقةً.

**التجربة العربية:**

لم ترد معلوماتٌ عن الدولِ العربيةِ حتَّى الآنَ باستثناءِ ما وردَ من دولتَي تونسَ والأردنِّ.

في الأردنِّ يبلغُ متوسطُ نصابِ المعلمِ الأسبوعيّ في المرحلةِ الابتدائيةِ ٢٥ حصةً، و٢٣ حصةً في المرحلتَين المتوسطةِ والثانويةِ، مع العلمِ بأنَّ زمنَ الحصةِ هُو ٤٥ دقيقةً.

أمَّا في تونسَ فإنَّ نصابَ المعلمِ الأسبوعيَّ في المرحلةِ الابتدائيةِ يتراوحُ بين ٢٢ - ٣٠ حصةً، حسبَ خبرةِ المعلِّم (كلَّما زادَت الخبرةُ نقصَ النصابُ)، لكنَّه يتراوحُ بين ١٥-١٨

حصـةً في المرحلتين المتوسطة والثـانوية، حسبَ الخبرةِ أيضاً، ويتـراوَحُ زمنُ الحصةِ بين ٤٠-٥٠ دقيقةً.

**التجربة العالمية:**

وردَت حـتَّى الآنَ مـعلومـاتٌ عن نصـابِ المعلِّم في الدُّوَلِ الآتية:

الولاياتِ المتحدةِ الأمريكـيةِ. ـ اليابان ـ ألمانيا ـ فرنسا ـ اليونان ـ باكستان ـ الهند.

وقد لوحظ أنَّ هذه الدولَ جمـيعَها تُخصِّصُ النصاب نفسَه للمعلِّم بصرفِ النظرِ عن المرحلةِ الدراسيةِ، ويستَثْنَى من ذلكَ دَولتَا ألمانيا وفرنسا،

ففي ألمانيا يقومُ معلِّمُ المرحلة الابتدائية بتدريسِ ٢٧ حصةً (٤٥ دقيقةً)، بينما يقومُ معلِّمُ المراحلِ الأخرى بتدريسِ ٢٣ حصةً (٤٥ دقيقةً).

أمَّا في الدولِ الأخرَى فيبلغُ متوسطُ عددِ الحصصِ الأسبوعيِّ للمعلِّمِ حوالي ٢٩ حصةً (متوسطُ زمنِ الحصةِ يُساوي ٤٣ دقيقةً).

ويلاحظُ أنَّ اليابانَ تطبِّق أعلى حدٍّ من النصابِ، وهو ٣٣ حصةً، مقارنةً بالدول الأخرَى، معَ أنَّ إحدَى ولاياتِ أمريكَا تطالبُ المعلمَ بما يقاربُ ٤٠ ساعةَ عملٍ أسبوعيةً.

(ملاحظة: استُخدمَت كلمةُ (ساعة) في

أغلبِ المعلـومـاتِ التي وردَت، وقَد اعـتـبـرْنا المقصودَ بالساعةِ الحـصةَ الدراسيةَ الواحدةَ، كمَا هو المتَّبَعُ غالباً).

وإلى جـانـبِ العـملِ التـدريـسيِّ لوحظ أنَّه يتـــوقَّعُ من المـدرِّسِ في أغلَبِ الدولِ الـتي تمَّ استعراضُها المشاركةُ في الاجتماعاتِ والأنشطة المدرسـيـة. كـما لوحـظ أنَّ أغلبَ الدولِ تطبقُ نظامَ (مدرِّسي الفصلِ) في المرحلةِ الابتدائيةِ.

وأخـيراً لا بدَّ من الإشـارةِ إلى أنَّه لا مجـالَ للمقارنةِ بينَ عملِ مدرِّس الـتعليمِ العامِّ وأستاذِ الجامعة؛ إذ إن الأخيرَ ليس مهنَتُه التدريسَ فقط، وإنَّما يُتوقَّع منه إثراءُ مجالِه التخصُّصيِّ بالبَحث

والتأليف والمشاركات المختلفة، ولهذا يُبنَى قرارُ تقدُّمه في السُّلَّم الوظيفيِّ على هذه المهاراتِ بالإضافةِ إلى التَّدريس.

هذا ويوضِّحُ الجدولُ التَّالي بعضَ المقارنات والمعلوماتِ الضروريةِ التي يجدرُ الاطِّلاعُ عليها.

obeikandl.com

| م | اسم الدولة | النصاب الأسبوعي لمعلم المرحلة الابتدائية | النصاب الأسبوعي لمعلم المتوسطة والثانوي |
|---|---|---|---|
| ١ | سلطنة عمان | ٢٦ - ٣٠ | ٢٢ - ٢٦ |
| ٢ | الإمارات العربية | ٢٤ | ١٨ - ٢٠ |
| ٣ | قطـــر | ٢٤ | ١٦ - ٢١ |
| ٤ | البحرين | ٢٢ | ٢٠ - ٢٢ |
| ٥ | الكـــويـــت | ٢٢ | ١٨ |
| ١ | تـــونـــس | ٢٢ - ٣٠ حسب الخبرة | ١٥ - ١٨ حسب الخ |
| ٢ | الأردن | ٢٤ - ٢٦ | ٢٢ - ٢٤ |
| ٣ | سوريا | ٢٨ - ٣٢ | ١٩ - ٢١ |

obeikandl.com

| طول الحصة الدراسية | طول اليوم الدراسي | طول العام الدراسي |
|---|---|---|
| ٤٥ – ... دقيقة | ٦ – ٧ حصص | ٩ أشهر |
| ٤٥ – ... دقيقة | ٥ ساعات تقريباً | ٩ أشهر |
| ٤٥ – ... دقيقة | ٥ – ٦ حصص | ٩ أشهر |
| ٥٠ دقيقة | ٦ – ٧ حصص | ٩ أشهر |
| ٤٥ دقيقة | ٦ حصص | ٩ أشهر للمرحلة الابتدائية<br>٩ ونصف للمتوسطة<br>١٠ للمرحلة للثانوية |
| ٤٠ – ٥٠ دقيقة | ٥ – ٨ حصص | ٩ أشهر |
| ٤٥ دقيقة | ٦ ساعات | ٩ أشهر ونصف |
| ٤٠ – ٥٠ دقيقة | ٥ – ٦ حصص | ١٨٥ – ١٩٥ يوماً |

oberkandl.com

| م | اسم الدولة | النصاب الأسبوعي لمعلم المرحلة الابتدائية | النصاب الأسبوعي لمع المتوسطة والثانوي |
|---|---|---|---|
| ١ | الولايات المتحدة الأمريكية | ٢٥ - ٣٠ بعض الولايات | ٢٥ - ٣٠ تصل إلى ٤٠ |
| ٢ | اليابان | ٢٨ - ٣٣ | ٢٨ - ٣٣ |
| ٣ | ألمانيا | ٢٧ | ٢٣ |
| ٤ | فرنسا | ٢٧ | ١٨ |
| ٥ | اليونان | ٢٦ - ٢٢ كلما زادت الخبرة في التدريس قل نصابه | ٢٦ - ٣٢ كلما زادت ا- في التدريس قل نصاب |
| ٦ | باكستان | ٣٠ حصة | ٣٠ |
| ٧ | الهند | ٢٥ - ٣٠ حصة | ٢٥ - ٣٠ حصة |
| ٨ | كوريا الجنوبية | ٢٥ - ٣١ | ٢٧ - ٢٩ |

obeikandi.com

| طول الحصة الدراسية | طول اليوم الدراسي | طول العام الدراسي |
|---|---|---|
| ٥٠ – | سبع ساعات ونصف | ١٨٠ يوم دراسي |
| ٥٠ – | ٦ ساعات تدريسية | ٢٤٠ يوم دراسي |
| ٤٥ دقيقة | ٦ ساعات | ٩ أشهر |
| -- | خمس ساعات ونصف | ٨ أشهر ونصف |
| ٤٥ دقيقة | ٧ حصص يومياً | ١٠ أشهر |
| ٤٠ دقيقة | ٦ ساعات | ٩ أشهر |
| ٤٠ دقيقة | ٨ ساعات | ٢١٠ يوم دراسي |
| ٥٠ – ٤ | ٦ ساعات للمرحلة الابتدائية<br>٨ ساعات للمرحلة المتوسطة والثانوية | ٨ أشهر |

obeikandl.com

obeikandl.com

## ١٠- في صالة المراجعين

المراجعون أجناسٌ، والقادمون ثقافاتٌ، فهذا معلمٌ يطلبُ النقلَ، وذاك خريجٌ يطلبُ وظيفةً، وذلك من الصَّحراءِ يريدُ فتحَ مدرسة، ورابعٌ ينشدُ قبولَ ابنه، وخامسٌ يطالبُ بصرفِ أجرةِ منزلِه، وسادسٌ وسابعٌ.

ويحصلُ أثناءَ المقابلةِ بعضُ المواقف الطريفةِ، وبعضُ الصورِ العجيبةِ، وبعضُ الحالاتِ التي تستوجبُ الصبرَ والحِلمَ.

فمرةً تحدَّثَ مراجعٌ وصارَ يشكُو ابنَ عمٍّ له حولَ موقعِ مدرسة تُزمعُ الوزارةُ فتحَها في منطقتِهم. وقَد استمرَّ في الحديثِ، ولم نستطعْ

فهمَ قولِه ولا إسكاتَه ولمدة عشرِ دقائقَ، وبعدَ خروجِه عاد ليزيدَ قولَه، فأمسكَ أحدُ المستخدمين به، وصارَ بينَه وبين ذلك المستخدمِ جدالٌ كاد يكونُ عِراكاً، حتَّى تدخَّلتُ في الأمرِ وأذنتُ له بالدخولِ ليقولَ كلمةً واحدةً لَم تقدِّمْ ولم تؤخِّر، وهي أنَّ مُديرَ التعليمِ في تلكَ المنطقةِ يساعدُ ابنَ عمِّه، وله هوًى معَ ابنِ عمِّه.

وقد سألتُ بعضَ الحضورِ: ماذا قال؟ وماذا طلبَ؟

فضحكُوا، وقالُوا: لم نفهمْ شيئاً سوَى كلمتِه الأخيرةِ، وكان اللهُ في عونِكم، وما أحلمَكم على هذا وأمثالِه.

ومراجعٌ آخرُ يطالبُ بفتحِ مدرسة، ويشكُو مِن أنَّ جماعتَه هجرُوا هجرتَه، فأكَّدتُ عليه أنْ يرحلَ معَهم. ولكنَّه ضحكَ وضحكْنا من سذاجتِه.

وكان بينَ هؤلاءِ معلمٌ يطالبُ بترشيحِه للتدريسِ في الخارجِ، وقد أفهمْتُه بمنهجِ الوزارةِ وضوابطِها في ذلك. وكان معلِّماً وقوراً، وأخاً كريماً، فقد سرَّتْه المقابلةُ، ووصلَتْني منه بعد أيامٍ الرسالةُ التاليةُ التي يقولُ فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ وكفَى، وصلاةً وسلاماً على عبادِه

الذين اصطفَى، وعلى من سارَ على دربِهم واقتفَى.

وكيلَ وزارةِ المعارفِ د/ عبد العزيز الثنيان حفظَه اللهُ

النفوسُ الزكيَّةُ تمْقتُ التزلُّفَ، وتَشْمَخِرُّ عن التصنُّع الرخيصِ، وتشمئزُّ من صُوَر النفاقِ البغيضِ، التي تتكرَّرُ كثيراً أمامَ أُولي المناصبِ وأصحابِ القرارِ في أيِّ دائرةٍ أو مؤسسةٍ.

سعادةَ الدكتورِ، لقد هيَّأَ اللهُ تعالَى لِي بالأمسِ رؤيةَ مجلسٍ من مجالسِكم المباركة، تستقبلونَ فيها أفواجاً من المراجعين، فسُرِرتُ بذلكَ أيَّما سُرورٍ، ونسيتُ ما أتيتُ من أجلِه

لولا نداءُ المنادِي. وهذا علامةٌ بارزةٌ إن شاءَ اللهُ تعالى على الإدارةِ الناجحةِ، وتواضعٌ وتفانٍ من أجلِ القيامِ بمصالحِ التعليمِ العامِّ الذي هُو العمودُ الفِقَريُّ لنهوضِ الأمةِ.

وأبشِّرُكَ ـ أيُّها المربِّي الفاضلُ ـ بقولِ المصطفَى ﷺ: «اللهُمَّ مَن وَلِي مِن أمرِ أمَّتي شَيئاً فرفقَ بهِم فارفُقْ بِه». أخرجَه مسلمٌ.

سعادةَ الدكتورِ عبد العزيز، قد يخفَى عليك شيءٌ من المنافعِ التي تحدثُ بسببِ هذه المجالسِ غيرِ المنافعِ الإداريةِ الظاهرةِ، أعني بذلكَ أنَّ المراجعَ بعدَ مقابلَتِكم يحسُّ بالسُّرورِ يغمرُه،

ولو خرجَ خـاليَ الوفاضِ، خاسراً في بضـاعتِه، متحمِّلاً أعباءَ سفرِه، كما حدثَ للكاتبِ.

ولكُم أن تتصوَّرُوا الأضرارَ التي سـتتحملُها الوزارةُ لو حُرِمَ المراجـعـونَ مـثلَ هذه اللُّقـيـا المباركةِ.

وختاماً أسألُ اللهَ أن يباركَ في جُهودِكم وأنْ يسددَ الخُطى، ويجعلَ التـوفيقَ لكُم حَليفاً، وأنْ ينفعَ بكُم الجميعَ.

أخُوكُم (ح،س)

ومـــراجعٌ تطاول فـي القـول، وتمـادى في العتابِ، وصبرْنا عليـه، ولكنَّه عادَ وكتبَ رسالةً

يقولُ فيها:

سعادة الدكتور عبد العزيز المحترم

السلامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه

أخِي مررتُ للسَّلامِ عليكُم ولأشكرَكم على حُسنِ تعـامُلِكم مَعي، وعدمِ مؤاخَذتِي عـلى ما بدرَ منِّي.

عـزيزي، أُكـرِّرُ شُكري لكُم، وأقـولُ: زادَكَ اللهُ حِلماً، ورزقَني مثلَه.

أخوك (ف.ع)

ومـعلمٌ قدَّم طـلبَه من خلالِ قـصـيدةٍ يقـولُ

فيها:

دَعْني أقـــــدِّمْ للـوزيرِ خـطابِي

في موسمِ الخـيراتِ والإخـصابِ

أُهدِي السـلامَ من الجنوبِ تحـيـةً

ممزوجـــةَ بعـبِيـــرِهـا الخـــلاَّب

أنا يا وزيرَ العلمِ غـايةُ مـقصـدِى

أنِّي أعـــيشُ بهـــمَّتي وشـــبـــابِي

فـأنا الطَّموحُ إلى المـعالي جـامحٌ

أســـمُو على الأقـــرانِ والأترابِ

ودرستُ في قسمِ البلاغةِ حقبةً

وشهادةٌ عُليا برفقِ خطابِي

وجلستُ في بيتي رهينَ حكايةٍ

من غيرِ توظيفٍ بلا أسبابِ

قاسيتُ في دربِ الحياةِ مصاعباً

ومواقفَ الإحراجِ والإتعابِ

العيدُ أقبلَ والمطالبُ جمةٌ

وخريدة قالت بغيرِ ثيابِ

سئم الصحابُ توسُّلي وتخضُّعي

وتلطُّفي في موقفِ الإسغابِ

فـرفـعتُ أمـري للوزيرِ توسُّمـاً

وببــابِه حــقــاً أنـختُ رِكــابِي

واقــرَأ سـلامي للمـليكِ تحـيــةً

وأشِرْ عليــه بـفـتـحِ هذا البــابِ

والعــفـوُ يـا هذا وحِلمُك واسعٌ

ولتــعــذرُونا يـا أُولي الألبــابِ

ثم يقولُ: مُقدمُ هذا العرضِ شابٌّ، تزوجتُ في المرحلةِ المتوسطةِ، وعندِي من الأولادِ أربعةٌ، وقاسيتُ مصاعبَ الحياةِ طالباً معلِّقاً الآمالَ فيما بعدَ التخرُّجِ.

وبعد التخرُّج جرَيت مُشَرِّقاً ومُغرِّباً بَحثاً عن الوظيفةِ فإذا بجميعِ الأبوابِ موصدةٌ، فرضيتُ مُكرَهاً بالجلوسِ مع الخوالفِ حتَّى ضاقتْ عليَّ الأرضُ بما رحُبَتْ، فرأيتُ لزاماً عَلَيَّ، ومِن بابِ التوسُّمِ أنْ أرفعَ لمعاليكم هذا العرضَ طالباً الالتحاقَ بحقلِ التعليمِ، وكُلِّي أملٌ في أنْ يتحقَّقَ المرادُ؛ فقد أنختُ ببابِكم الرِّكابَ في هذا الشهرِ الفضيلِ. أدامَ اللهُ إحسانَكم أيُّها الوالدُ العزيزُ.

المتخرج (م.ع.ي)

(١٨/ ٩/ ١٤١٣هـ)

ويتبينُ من رسالة هذا المعلِّم وقصيدته أنَّه يطلبُ الوظيفةَ مباشرةً فورَ تخرُّجه في الفصلِ الدراسيِّ الأول. والوزارةُ لا تُعينُ إلاّ في بدايةِ العامِ الدِّراسيِّ.

ولقد أبلَّغَتْه الوزارةُ بهذا الإجراء، وأحسَبُه الآن قد تعينَ، وأنَّه من بينِ العاملينَ في حَقلِ التعليمِ وفَّقَهُ اللهُ وأعانَه.

هذه صورٌ ممَّا يحدثُ معَ المراجعينَ وما أكثرَها!

## ١١- غُرفة المُدَخِّنين

كان اللهُ في عونِ إخواني مُديري المدارسِ؛ إنَّهم يجتهدون ويحرصُونَ على الوِئامِ مع المعلِّمين، لكنَّهُم يُبتلَونَ أحياناً بعناصرَ صَعبة، ويلقَوْن مرارةً من بعضِ المعلِّمينَ، ولهذا يقلَقُونَ حينَ يأتيهم معلمٌ جديدٌ.

وإنِّي أذكرُ أنَّ واحداً من خِيرةِ مُديري المدارسِ في مدينةِ الرياضِ، له خبرةٌ طويلةٌ، وتجربةٌ متميزةٌ، وعلى قَدْر من الوَقار والحَياء، وقَد حدثَ أنِ انتقلَ إلَى مدرسته معلِّمٌ جديدٌ، وكان هذا المعلمُ صعبَ القيادةِ، وصارَ بينَه وبينَ

ذلك المديرِ خلافٌ وجدالٌ تطوَّرَ ونما، ووصلَ إلينا في إدارة التعليم، وتعدَّانا إلى وزارة المعارفِ، ثمَّ تجاوزَها إلى مقامِ خادمِ الحرمين الشريفينِ حفظَه اللهُ.

إنَّها حكايةٌ طويلةٌ، وقصةٌ عجيبةٌ، وقضيةٌ مُرَّةٌ أستهلُّها بالأبيات الشِّعريَّة التي حاولَ نظمَها ذلكَ المعلِّمُ الصعبُ؛ يقولُ:

نقلُوني ومـــــا ليَ ذَنْبٌ

نقلُوني وأشـــعَلُوا القلبَ نارا

نقلُوني وأصدَرُوا الحكمَ ظُلماً

لا وفي غَيبَتي وسلَّمُوا لي قرارا

لوَّثُوا سُمـــعَتي بإصـــلاحِ مَن

يســـتـــحقُّ الجـــزاءَ والشـنارا

نقـلُوني وبـالعـطاءِ عـــــيَّرُوني

لَيْتَهم عـــيَّروا بما فـــيــهِ عــارا

يـا وزيرَ الـتُّقَى بكـلمـــــةِ حـقٍّ

جُدْ علَيـنَا واســـتـــعِدْ لي وَقَارا

إنَّ هذه الأبياتَ توضحُ أنَّ هـذَا المعلمَ جرى نقلُه من هذه المدرسـة إلى مدرسـة أخرى، وهُو مـا حـدثَ بالفـعلِ. فقَد وُجِّهَ هـذَا المعلمُ لتلكَ المدرسـة الابتـدائيـةِ، واخـتلفَ مع مـديرِها منذُ

البداية، واتَّخذَ من غرفة المدخِّنينَ وسيلةً للنَّيلِ من مُديرِ المدرسةِ وتجريحه.

وكانَ مصدرُ الخلاف ـ كما يذكرُ هذا المعلمُ ـ هو أنَّ بعضَ المعلِّمينَ يدخِّنُونَ، وأنَّ مديرَ المدرسة قامَ بتَخصيصِ غُرفة خاصَّة بهذه الفئة من المعلِّمين، وأنَّه خالفَ الأمرَ الساميَ القاضيَ بمنعِ التدخينِ في الدوائرِ الرسميةِ.

أمَّا مديرُ المدرسَة فكانَ عاقلاً، ولم يكُن يُدخِّنُ، ولكنَّه حينَ رأَى بعضَ المعلِّمينَ لا يستطيعونَ الصبرَ، وأنَّهُم يخرجونَ من المدرسة ويدخِّنُونَ في الشارعِ، وفي ذلك إحراجٌ لهم، وأنَّ هذه الصورةَ التي يراها المارَّةُ

والطلابُ لا تليقُ بدارِ علمٍ، وبيتِ تربيةٍ، فقد خصَّصَ غرفةً في الدَّورِ الأعلى للمدرَسةِ وأبلغَ أولئكَ المعلِّمينَ المُبتلَيْنَ بهذه العادةِ السيئةِ أنْ يدخِّنُوا فيها بدلاً من الشَّارعِ.

إلا أنَّ ذلكَ المعلِّم يرى غيرَ ذلكَ وأنَّه لا بدَّ من إغلاقِ تلك الغرفةِ وإجبارِ المعلِّمينَ على عدمِ التدخينِ. كما ترجَّحَ لدينا أنَّ هذا المعلمَ يشعرُ أنَّه أكفأُ من مُديرِ المدرسةِ، وأنَّه أجدرُ منه؛ لأنَّه يحملُ مؤهِّلاً جامعياً بينما المديرُ مؤهِّلُه دونَ ذلك.

وفي نظرِي أنَّ هذه نظرةٌ ناقصةٌ؛ فالرجلُ يُقَوَّمُ بعقلِه وعلمِه ومعرفتِه، وليس بمؤهِّلِه،

ولا يعني ذلك التقليلَ من شأنِ التأهيلِ العلميِّ، ولكنَّ الأمورَ ليستْ على إطلاقِها.

فكم من شخصٍ مؤهَّلُه أقلُّ ولكنَّه أكفأُ وأجدرُ من آخرَ يحملُ مؤهِّلاً علمياً عالياً!

وهذا ما وجدْنَاه في الميدانِ، وفي تعاملِنا مع عددٍ من التربويِّين.

وتطوَّرَ الخلافُ، ووصلَ إلى إدارةِ التعليمِ وشُكِّلت لجنةٌ للتَّحقيقِ في الأمرِ وأوصَت اللجنةُ بنَقل المعلِّمِ؛ حيثُ رأَتْ أن المصلحةَ العامةَ تقتَضي نقلَه، وأيَّدَها في ذلك رئيسُ التَّوجيهِ التربويِّ، وكذلكَ مديرُ التفتيشِ الإداريِّ.

وتأمَّلتُ المعاملةَ، واتَّفقتُ مع الجميعِ في رأيِهم، وأصدَرْنا قراراً بنَقله لمدرسة أُخرى قَريبة من المدرسَة التي يعملُ فيهَا، وذلك بتاريخِ ٢٧/ ٣/ ١٤٠٥هـ؛ حيثُ لا بُدَّ من الحزمِ والجدِّ، فلا يجوزُ أن يبقى الرَّجلان في مدرسة واحدة، ولا بُدَّ من نَقل أحدهما، وكانتْ الإدانةُ للمدرِّسِ وليست للمُدير.

وحين صدر القرارُ ثارَتْ ثائرةُ ذلك المعلِّم، وقامَ وما قعدَ، وأتعبَنا بالمراجعة، وآذانا بالمطالبة، وأفهمْناه في إدارة التعليمِ أنَّ عليه المباشرةَ في مدرسته الجديدة وأنَّه لا مجالَ للمُراجَعة، ولا بد من تنفيذ القرار؛ فالمصلحةُ التعليميةُ تستوجبُ ذلكَ، والنقلُ في داخلِ المدينة.

وحين يئسَ من إدارةِ التعليمِ توجَّه إلى وزارةِ المعارفِ، وكتبَ خطاباً لمعالي وزيرِ المعارف آنذاك الدكتور عبد العزيز الخويطر، وعرضَ قضيَّتَه بأسلوبٍ بليغٍ.

وللَّه دَرُّه! فمع خِلافي معه إلا أنَّني أحترمُه ولا أُكنُّ له إلا التقديرَ والاحترامَ؛ فليس بيني وبينه خلافٌ شخصيٌّ، وقد احتفظتُ ببعضِ ما كتبَ، وبشيءٍ مما دوَّنَ.

يقولُ لمعالي وزيرِ المعارفِ في استدعائِه الذي يشتكِي فيه إدارةَ التعليمِ:

أمَّا بعدُ:

فقد آتاكم اللهُ حفظَ الوصيَّة، ومنَحكم نصيحةَ الرَّعيَّة، وألهمَكم عدلَ القضية؛ فإنَّكم مستودَعُ الودائعِ. فلقد أَعطيتُم من أنفُسكم مَن هو تحتَكم ما تحبُّونَ أن يعطيَكم مَنْ فَوقَكم من العدلِ والرأفة؛ فقَد أنعمَ اللهُ عليكُم بأنْ فوَّضَ أمرَنا إليكُم.

فإلى معاليكم بعدَ اللَّه أرفعُ كُربةَ الشَّكوى، وأشكُو شدةَ البَلوَى ممَّن تسهيلُهم الغلظةَ، وتيسيرُهم الفظاظةَ، وإيرادُهم علينا الغمومَ، وتوجيهُهم إلينا الهمومَ، وإصلاحُهم للجاني بمعاقبةِ المعافى.

صاحبَ المعالي:

أفيدُكم بأنِّي نُقلتُ من مَدرستي بدونِ ذَنب جنيتُه نتيجةً لانحيازِ المفتِّش (م. ث) الذي أخرجَتْه إدارةُ تعليمِ الرياضِ ليحقِّقَ في شكايةِ مُدير مدرسةِ (ش. ب) الابتدائية لي؛ مقابلَ نصيحَتي له، ومكافأةً وتَشجيعاً على مخالفاتِه.

ويقولُ في استدعائِه كذلك: صاحبَ المعالِي.

أعيذُ حالي عندَكم بكرمِكم من واشٍ يكيدُها، وأحرسُها بوفائكم من باغٍ يحاولُ إفسادَها. لذَا أرجُو من اللَّه ثُم من مَعاليكم

التوجيهَ ببقائي في عملي، وعَدمِ زعزَعَتي مع إيفاد مفتِّشٍ من الوزارة يحوزُ علَى ثقة معاليكم لتقصِّي جوانبَ القضيَّة، ومن ثَمَّ تطبيقُ النظامِ على من تثبتُ مخالفتُه، سواءٌ كان ذلك مديرَ المدرسةِ أم أنا.

وأسألُ اللهَ أن يجعلَ حظِّي منكُم بقدرِ ودِّي لكُم، ومحلِّي من رجائكم؛ بحيثُ أستحقُّ منكُم. ولكُم خالصُ تحيَّاتي. واللهُ يُبقيكم ذُخراً للعلم والتعليم .. والسلام

مقدِّمُه

المدرسُ بمدرسةِ (ش.ب) الابتدائيةِ بالرياضِ

(ع.م.ز)

هـذا، وقد وجَّـهَ معالي الوزيـر، الـدكتـور عبد العزيز الخويطر بالتحقُّقِ ممَّا ذكرَه، والإفادةُ. وكـانَ أنْ شكَّلَتْ الوزارةُ لجنةً تبـحثُ الأمـرَ وتستـجليـه، وانتَهَتْ تلكَ اللجنةُ بتـأييـدِ إدارةِ التـعليمِ في إجرائِهـا؛ ولكنَّه لم يقبلْ، ولجـأَ إلى المقـامِ السَّامي بعَد أنْ رفَع لمعـالِي الوَزير خِطاباً يقولُ فيه:

أرفعُ لمعاليكم معروضِي هذا أشعرُكُم فيه أنَّ مـعاملةَ التَّحـقـيقِ في قضـيَّةِ نَقلي صَدرَت إلى مـديرِ عـامِ التعلـيمِ بالرياضِ برقم (٦/٤٢٠)، وتـاريخ (٢٦/ ٧/ ١٤٠٥هـ)، وطـلـبتُ مـنـه مُوافاتي بنتـائجِ التحـقيقِ رسمـياً، ورفضَ ذلك

ترفُّعاً على الحقِّ، واستهتاراً بطالبِه، لذا أرجُو من اللَّه ثُم من معاليكم تطبيقَ النظامِ والعقوباتِ الصارمةِ على كلِّ طرف في القضيَّة يستحقُّ الجزاءَ؛ إحقاقاً للحقِّ، وإزهاقاً للباطلِ كمَا وعدتُموني بذلك، وإلا أستميحُ معاليكم عُذراً في الإذنِ لي بالتقدُّم إلَى مَولايَ جلالةِ الملكِ المفدَّى بتَقديم هذه القصيدةِ المتواضعة، ومشفوعِها بطَرح قضيَّتي بينَ يدَيه. واللهُ يسددُ خطواتِكم على طريقِ الخيرِ والسلامِ.

«يا سليلَ المجدِ قل تمَّ يحفظكَ المعين»

يا فهد رمزَ السعد للرجالِ المخلصين

يا سنَدنا يا فخرنا بكل أزمانها

بعـــد ربِّي مـــا لنـا من يرد الظـالمين

غيـر نصرِك يا حمى الحق في ميـدانها

أنتَ حسبي بعـدَ ربِّي وثُم بك نستعين

تنصف النفسَ الحـزينه من اللي هانهـا

والله ما لي ذنب كـون النُّصح لك يا أمين

طالبك في حـجـتي تـفـتـهم برهانهـا

النـصح لـله ثُـم لإمـــــامِ المسـلمـين

حـاربتـني إدارة العلم هي وأعـــوانهـا

شـجّعَت ثم دافـعَت عن خطايا الجـانحين

والبـري مـذنب ومـعتـرفـة بلسـانهـا

كيف مخلص يجـعلونَه سواة المذنبين

والمخـالف عندهم مـخلص لأوطانهـا

أرتجي جلسة أمـامك مع الخصم المبين

يا بو فيصل طالبك يا حمى حدانها[١]

يا سليل المجـد قل تم يحـفظك المعين

من صـروف الدهر ويعز بك سكانهـا

بالصلاة أخـتم كلامي على طه الأمين

عد من حج الفـريضة وطاف أركـانها

وهذه قـصـيـدةٌ نبطيـةٌ، وليـست من الشِّعـرِ الفصيحِ، وقد أرادَ بها تأييدَ ما يراُه ويعتقدُه.

(١) حدانها: أي حدودها.

واستمرَّ الرجلُ في المراجَعة والمُطالبةِ حتَّى إنَّ وكيلَ الوزارةِ آنذاكَ أخي الدكتور سعود الجماز اتصلَ بي هاتفياً أكثرَ من مرةٍ يتذمَّرُ من ذلكَ الرجلِ، ويتزفَّرُ من إلحاحه ومطالبته. وكنتُ أقولُ له صَبراً، أمْرُنا للَّه، وماذا نعملُ؟! هذا قدرُنا، وهذا واقعُنا، ولا بدَّ من الصَّبرِ ولا بدَّ من الحزمِ، ولا يمكنُ التراجعُ.

وأظهرَ معالي الدُّكتور الخويطر وزير المعارف آنذاك تذمُّرَه من المَذكُور. وروى لي أنَّه زارَه أكثرَ من مرَّة، وأنَّه زجرَه ونهرَه، ولكنَّه يعودُ، ويكرِّرُ المطالبةَ، ويقدِّمُ الاستدعاءَ تلوَ الاستدعاءِ.

وقالَ معاليه: لقد بلغَ بهذا المعلِّم أن صارَ يعرضُ قضيتَه على بعض وُجهاء المجتمَع، ويطلبُ منهُم الشفاعةَ والمناصرةَ، وأنَّ معاليه كان ذات أسبوعٍ في قصرِ الضيافةِ في جدةَ، وفوجئ باتصالٍ هاتفيٍّ في الاستقبالِ بأنَّه يوجدُ مَنْ يرغبُ مقابلتَه. وعندما نزلَ رأَى هذا المعلمَ ومعه مجموعةٌ من رجالِ الحسبةِ، وشرعُوا يزكُّونَ الرجلَ، ويطالبُونَ بإنصافه. وقد تعجبَ معاليه منهم، وتعجَّلَهم وأفهمَهم أنَّه تحرَّى وتأكَّدَ من حقيقةِ الأمرِ.

وأظنُّ أن معاليه قد نهرَ ذلك المعلمَ، وأغلظَ عليه في القولِ أمامَ أولئك الرجالِ.

وإنِّي لأعجبُ من ذلك المعلمِ، فمع كلِّ ذلك الردِّ والصَّدِّ يراجعُ ويجادلُ، إلا أنَّه باشرَ في المدرسةِ الجديدة؛ لأنَّه خافَ من الحسمِ عليه ومن فَصله، ولكنَّه استمرَّ في المراجعةِ والمطالبةِ والشفاعةِ بهذا وذاكَ.

وأذكرُ أنَّه زارَني ذاتَ مرةٍ في المكتبِ رجلٌ عرَّفَني باسمه، وأنَّه عَمٌّ لذلكَ المعلمِ، فحمدتُ اللهَ، وقلتُ: جاءَ الفرجُ، جاءَ السعدُ، لعلَّه يُقنعُ ابنَ أخيه. وما إن بدأتُ في الحَديثِ، وعرفَ أنِّي أرغبُ في مساعدَته لإقناعِ ابنِ أخيه، حتَّى بادرني الرجلُ بقَوله: إنَّ عبدَ اللهِ ـ وهو اسمُ ذلك المعلم ـ إنَّه جُنيهٌ من الذهبِ، تراه مع كلِّ

الجهات يُبرُق، وفي كلِّ الأحوالِ ينفعُ، وإنَّه مظلومٌ، ولا بدَّ من إنصافه. ووجدتُ أنَّ العمَّ أصعبُ، وأنَّ الشيخَ أقسَى، وقد جاءَ لمساعدة ابنِ أخيه. ولهذا أطرقتُ، وتصبَّرتُ، وتركتُه حتَّى أنهى كلامَه، ثُم انصرفَ، وسألتُ اللهَ الصبرَ والحِلمَ.

واستمرَّ الرجلُ في الشَّكوى، ووصلَ إلى خادمِ الحرمين الشريفين، الملك فهد بنِ عبد العزيزِ ـ حفظه اللهُ ـ وعرضَ مظلمتَه، وأظنُّه قدَّمَ قصيدتَه النبطيةَ الآنفةَ الذكرِ.

وحدَّثني مَنْ أثقُ به أنَّ خادمَ الحرمين الشريفين قالَ في مجلسٍ حافلٍ: إنَّك تشتكي

وزارةَ العلمِ والمعرفةِ ووزيرَها معالي الدكتور الخويطر من خيرةِ الرجالِ. وأشادَ به وأثنَى عليه.

قالَ الراوي: ولقد تمنَّى الحضورُ ذلك الإطراءَ، وغبطُوا الخويطرَ على تلك الإشادةِ.

وقالَ خادمُ الحرمَين: عليكَ أن تراجعَ وزيرَ المعارفِ وأنْ تقبلَ ما يقرِّره، وإنْ شئتَ طلبْنَا المعاملةَ، ونظرْنَا في الأوراقِ، فإنْ كنتَ مظلوماً أنصفْناكَ، وإنْ كانَ خلافَ ذلكَ فصلْناكَ.

وبعدَ هذا الموقفِ الحازم، ثابَ ذلكَ المعلمُ إلى رُشدِه وهدأتْ حالُه واسترَحْنا من قولِه وقِيله، وطلبَ النقلَ من إدارةِ التعليمِ بالرياضِ

إلى إدارةٍ أُخرى، واستجبْنا له وبارَكْنا، بل واللهِ عيَّدنا وصفَّقنا.

هذا وإنِّي أتَذَكَّرُ أنَّني قد سئمتُ العملَ من مراجعَته، ومللتُ الوظيفة من ترددُّه، وكرهتُ إدارةَ التعليمِ بسببه، وحمدتُ اللهَ على التأنِّي والتأمُّلِ، فلمْ يَصدُرْ قرارُ نقله إلا بعدَ تثبُّت وتحقيقٍ. ولهذا لمْ ينقُضْ ما تقرَّرَ، ولمْ يُلغِ ما صدرَ.

هذا وإنِّي وقد تركتُ وزارةَ المعارف، وابتعدتُ عن العملِ الرسميِّ، أقولُ لو تكررَ مثلُ ذلك المعلمِ لهربتُ من العملِ؛ فالنفسُ لها طاقةٌ، والمرءُ له مشاعرُ، لكن أحمدُ اللهَ أنَّ هذه

الحالةَ كـانتْ من النوادرِ التي أزعـجَتْني بالأخذِ والردِّ والسؤالِ والجوابِ.

obeikandl.com

## ١٢- صِغار السِّنّ

كلُّ عملٍ بشريٍّ يشوبُه الخللُ، وكلُّ قرارٍ يستحيلُ كمالُه؛ فالكمالُ للَّهِ وحدَه. لكن لا بدَّ من تَنظيمِ أمُورِ الأمَّة، ووضعِ الضوابطِ والتعليماتِ التي يعملُ بموجبِها المنفِّذُونَ لتلكَ القراراتِ.

وفي بدايةِ كلِّ سنةٍ يضجُّ المسؤولونَ في وزارةِ المعارفِ من كَثرةِ المراجعينَ، ويَسأمون من المطالبينَ بقبولِ أبنائِهم الصِّغارِ.

وكانت الإجراءاتُ تَقتضِي تفويضَ مُديري المدارسِ صلاحيَّاتِ القَبولِ لمن أكملَ ستَّ

سنوات، ويجوزُ التجاوزُ بثلاثة أشهُر لمن يرونَ أنَّ لديهِ قدرةً واستعداداً ذهنياً لمجاراةِ زُملائه.

ولكنْ يأتي من يراجعُ لقَبولِ ابنه الذي لم يبلُغ الخامسةَ وتسعةَ أشهُرٍ.

ويتوالى إلحاحُ أولئكَ المطالبينَ، ويغضَبون، وربَّما يشتمونَ. وكان اللهُ في عَونِ المستقبلِ لهُم، إنَّهم كالجَمرةِ المُحرِقة، وقد سقطَتْ على كفِّ المرءِ، فتراهُ يقذفُ بها أقربَ الناسِ إليه.

وأولئك المراجعونَ يُحرجُونَ مديرَ المدرسة فيحوِّلُهم إلى إدارةِ التعليمِ، ويتأذَّى منهُم مديرُ التعليمِ، فيتحوَّلونَ إلى الوزارةِ، ويشفعونَ بهذا وذاك.

وكنتُ أرى المرونةَ في هذا الأمرِ، وأن تَدعَ الوزارةُ المجالَ لمدُيري المدارسِ، فمن درَسَ في رياضِ الأطفالِ وأجادَ القراءةَ والكتابةَ يُسمحْ له بالدراسةِ في الصفِّ الأولِ الابتدائيِّ، ولو كان عمرُه خمسَ سنواتٍ وشهوراً.

بَل كان رأيي أن يُتركَ للمدارس إجراءُ مقابلة يسيرة تُقاسُ بها قدراتُ الطفلِ الذي بلغ خمسَ سنواتٍ فما فوقَ، ومن ثَمَّ يتقرَّرُ قبولُه أو عدمُه.

وكنتُ أعملُ بهذا الإجراءِ خلالَ عمَلي في تعليمِ الرِّياضِ، وفترةً من عَمَلي في وكالة الوزارة، حيث أوجِّهُ مُديري المدارسِ بإجراءِ

مقابلاتٍ لأولئك الأطفالِ، ثُم تقريرُ ما يرَونَه.

ولكنْ طرحَ بعضُ التربويِّين آراءً أُخرى ورأَوْا الالتزامَ بالمدةِ، وعدمَ التجاوزِ ولو يوماً واحداً.

وأجرتِ الوزارةُ دراسةً عَن العَالم من حولنا، وكيف يتمُّ القَبولُ عندَهم؟ وما السنُّ المحدَّدُ؟.

وتبيَّن أن أغلب الدولِ تلتزمُ بالسنواتِ الستِّ. وأتذكَّرُ أنَّ معالي وزير المعارف الأخِ الكريم د/ محمد بن أحمد الرشيد يذكرُ أنَّه سألَ وزيرَ التعليمِ الكوري عن هذا الأمرِ؛ فقد

ضاقَ معاليه ذَرعاً بهذا الجانبِ، ولقيَ عَنتاً من هذا الإجراءِ، ورغبَ معرفةَ ما لدى الآخرينَ.

وكان جوابُ الوَزير الكوريِّ أنَّهم يلتزمونَ بالسنِّ المحدَّدةِ، ولا يسمَحونَ ولو بيَومٍ واحدٍ دونَ السنواتِ الستِّ.

والسؤالُ نفسُه سألناهُ في اليابانِ وبريطانيا وأسبانيا وفي ماليزيا وفي سنغافورة.

وكان الجوابُ أنَّهم يلتزمونَ بالسنواتِ الستِّ.

ومن الصّورِ التي أتذكرُها عن المراجِعينَ في

هذا المجالِ أنَّ واحداً جاءَ، وقال بصَوت عالٍ أمامَ الجميعِ: ما لكم تضيِّقونَ على الأمَّة؟! اتَّقوا اللهَ، وكونُوا أهلَ سماحةٍ وسهولةٍ، ويسِّرُوا ولا تعسِّروا.

إنَّ ابني ينقصُ عمرُه يوماً واحداً، ومع ذلك تأبونَ قبوله، وتمنعونَ حتَّى المدارسَ الأهليةَ من تسجيلِه! ماذَا نعملُ معكم؟ هل أنتُم أرحمُ منَّا بأولادِنا؟! وهل أنتُم أشفقُ عليهم منَّا؟!

قلتُ له وبصَوتٍ مرتفعٍ وأمامَ المراجِعين؛ لكَي يسمَعوا الجوابَ: إنَّ المنعَ لمصلَحتِه التعليميةِ فالدراساتُ التربويةُ تُوصِي بالتريُّثِ،

وعدمِ التسرُّع، ثُم إنَّ الفارقَ ليس يَوماً واحداً.

قال الرجلُ: أُقسمُ باللهِ أنَّه يومٌ واحدٌ.

قلتُ: لا تُقسمْ؛ فأنا أعرفُ أنَّه أكثرُ من ذلك.

قال: لستَ أدرى منِّي بولدي؛ أنا الذي أنجبتُه، وأنا الذي ربَّيتُه.

قلتُ لأحدِ المستخدمين: أعيدوا أوراقَه. بعد أن شرحتُ عليها للقسمِ المختصِّ.

وبعد برهةٍ جاءت الأوراقُ ونظرتُ في تاريخِ ميلادِه وإذا النقصُ واحدٌ وتسعُون يوماً.

قال الرجلُ: كنتُ أعتقدُ أنَّ الشرطَ خمسُ سنواتٍ وتسعةُ أشهرٍ.

قلتُ: الشرطُ ستُّ سنواتٍ، ولمديرِ المدرسةِ التجاوز يوماً ويومين، وأسبوعاً وأسبوعين، وشهراً وشهرَين، وحتَّى ثلاثة أشهرٍ.

قال: ولكنِّي أريدُ يوماً فوقَ ذلك.

قلتُ: ومع المُراجِعينَ آخَرُ يريدُ يومَينِ، وثالثٌ يريدُ ثلاثةً وهكذا.

وصورةٌ أخرى، جاء أبٌ، وقال: إنَّ مُديرَ المدرسةِ رفضَ قبولَ ابنِه، وأنَّه بقي على القَبولِ

نصفُ ساعة، وذلك أنَّ شهادةَ الميلادِ مدوَّنٌ فيها اليومُ والساعةُ.

قُلتُ لذلك الرجلِ ممازحاً: هلاَّ تقدَّمتَ، ولماذا تأخَّرتَ؟

قال الرَّجلُ وهُو يضحكُ: لو كنتُ أعلمُ بقسوتكم لما داعبتُ أمَّه، ولو كنتُ أعرفُ فظاظتكم لما لاعبتُ والدته، ولو كنَّا نعرفُ أنَّ هذا سوف يحصلُ لعجَّلنا بهِ.

قلتُ: باركَ اللهُ لكُما، وتأفَّفتُ من مديرِ المدرسةِ وعدمِ مرونته؛ حيثُ لو كنتُ المديرَ لقبلتُه. وشرحتُ على استدعائه بقبُوله

والتجاوزِ عن هذا النقصِ المضحكِ.

ومـــراجعٌ آخَرُ تـركَ ابنَه يتكـلمُ، وأمـــره أن يتحدثَ، وبالفعلِ كان الصغـيرُ جَريئاً، فتحدَّثَ بكلامٍ أحـرجَنا، وقـال: لمـاذا تأبونَ أنْ أتعلَّمَ؟! ولماذا ترفـضونَ أن أقـرأَ؟! هل تريدونَ أن أبقى في الشارعِ، أو ترغبـونَ أن أنامَ في البيتِ، أو أنْ أجلسَ أمامَ التلفزيونِ؟!

وقـد عجـبتُ من جُرأته، وسـرَّتني بلاغـتُه، وأعـجبَتْني فـصاحـتُه، وأعلنتُ عَجزي أمـامَه، وتجـــاوَزتُ كلَّ الأنظـمـــةِ، وتخطَّيـتُ كلَّ التعليـماتِ، وأمرتُ بـقبولِه، وكـان سنُّه خمس

سنواتٍ وستَّة أشهرٍ.

إنَّ هذه الصُّورَ هي التي جعلَتْني أنادي بالمرونةِ وعدمِ الالتزامِ الحرفيِّ بالسنِّ، وأنْ نتركَ المجالَ لمُديري المدارسِ؛ فهم أدرى، وهم المباشرونَ، وكان اللهُ في عونِهم.

obeikandl.com

## ١٣- ودمعت عيني

شرعتُ في دراسَة بعض الأوراق الرَّسميَّة يومَ الخميس الموافق ٧/ ٢/ ١٤١٢هـ، حيثُ درجتُ على قضاء بعض السَّاعات في المنزل لإنجاز ما لا أستطيعُ إنجازه في المكتَب. وبينما كنتُ أنظرُ في المعاملات أقبلَ طفْلي فهدٌ، وكان ابن ثلاث سنين، وقبَّلني وقبَّلتُه، وضمَّني وضمَمْته، وجلس بجانبي يناغيني وأناغيه، يُداعبُني وأداعبُه، وفجأةً خرجَ الصغيرُ، وأخذتُ معاملةً كتبها صاحبُها بأسلُوب أدبيٍّ، دوَّنَ فيها معاناته، وسطر فيها آلامه، وندبَ حظَّه، وشكا وضعَه؛ فهُو معلمٌ طموحٌ، ومربٍّ غيورٌ، ينشدُ

مـجـداً، ويطلبُ عُلُواً، ويرى أنَّه من الكفـاءات التي حُجـبتْ عنها القـيادةُ، وأنَّ ذلكَ غـيرةٌ من رؤسـائه، وخوفـاً من نُبـوغه، وقـلقاً من مَلَكَتـه البــيـانيَّة. وتـرجَّحَ لديَّ أنَّ هذا المعلمَ طمــوحٌ وجـريءٌ، ولم يَجد التـشجـيعَ والدعمَ، ثُم إنَّه شاعرٌ متمكنٌ. وقد أرفقَ قـصيدةً جميلةً، شدَّني أسلوبُها، وجـذبَني منهجُهـا، وسرَّني عـرضُها؛ فـقَد خاطـبَ الشاعـرُ طفلتَه، فـتـذكَّرتُ طفْلي الذي كانَ يداعـبُني منذُ قَليل، وصارَت مـعاناتُه ماثلةً أمامي، شاخصةً قُدَّامي، ولهذا تخيَّلته يبثُّ صغيرتَه أحزانَه بعدَ أنْ ضاقَتْ به السبلُ ويشكو لها آلامَه بعد أن حارَ حيثُ يقولُ:

طفلتي تشتكي عُزوفَ أَبيـها

عن مُجاراتهـا فتـسألُ ريمَه[١]

ما الذي سبَّبَ الأسـى لأَبيها؟

مَن تُرى مَن تُرى يكونُ غـريمَه

لـوَّحَ الـدَّهر وجـنَتَيْه بـحُزن

أنكرَ الشِّعرُ صَمتَه ووجومَه

هكذا بثَّت العـرائسُ شكوى

زفـرَت بعـدها بـآهٍ أليـمـه

ثُم فـاضَتْ عـيـونُهـا بدمُوع

أعـقـبَتْهـا بـصَرخَة مكتـومَه

---

(١) ريمة: يقصد لعبة الطفلة.

ثُم نـامَتْ علـى أزيزِ نَشِيـجٍ

خـائرٍ فـيه نـقمـةُ المحـرومَه

قبلُ كانَتْ تـفيضُ حُبًّا وسَعداً

وحُبوراً فكيفَ أمسَت سقيمَه

إنَّهـا حين تشـتكي وتُعـاني

من رُؤَاها واللهِ غـيـرُ مَلومَه

أصـبـحَتْ بينَ أمِّها وأَبيـهـا

طفلةً في شُعور أخرى يتيمَه

ولَـم أتمـالــك دمعَتــي حـين قـال مُخـاطباً

ابنتــه الصَّـغيـرة :

لا تكونـي مــعـيـنةً لزمــانٍ

هدَّني بـالمشــاعــر المهَزومَه

فدَعي الحـزنَ لي فقلبُك غضٌ

واستَزِيدِي في وجنَتَيك النعومَه

قدرٌ أن أعيشَ ظُلـماً تعِيشِين

مَعـي فـي آثـارِه مــظـلـومَه

فارفَعي كفَّك الصـغيرَ نَدعو

منصفَ المظلُوم عـدَل الخُصومَه

obeikandl.com

عـالمَ السِّرِّ لم يَغِبْ عَنه سِرٌّ

وحـده عالمٌ بمـا في المَشيـمَه

يُلهم العـدل مَن لَه الحُكمُ فينَا

ثقَة نصَّبَتـــه فـينـا الحكومَه

وقـد اهتزتْ مـشـاعري، وفـاضَتْ دمُوعي، ورأيتُه متألِّماً، وتصـوَّرتُه باكياً، ونظرتُ إليه من بُعد ونحنُ عنه غافلونَ، وبأَلَمه جاهلونَ. وكيف سـأقـابـلُ هذا غـداً على الصِّراط؟! وكـيفَ سأُحـاججه يومَ الحـساب؟! فـأنا من المسؤولينَ عَن إنصافه، وأنا منَ المحاسَبينَ عن إهماله.

ووضعتُ الأوراقَ وأطرقتُ برأسي، وارتفقْتُ بكفِّي، وأعدتُ قراءةَ القَصيدَة أكثرَ من مرَّة، وهي مَعنونَةٌ بعُنوَان له رمزٌ ومعنًى، وهدفٌ ومرمًى (هل مِن إنصاف؟).

وبينما كنتُ سارحاً في هُموم هذا المعلِّم تساءلتُ: ما لي وهذا العناءُ؟ وأين أنا وهذه الهمومُ؟ وهَل من نجاة وسَلامة؟ وكيف الخلاصُ من الملامة؟ وقلتُ: حنَانَيْكَ ربَّاه، أَرني طريقَ الهُدى، ورُحماكَ إلَهي، أرشدْني إلى مَنهَج الإنصاف، ولُطفَك ربِّي، دُلَّني على دُروب العَدل.

وأثناء ما كنت في هذه المعانة، وهذه الهموم. عاد صَغيري فهدٌ فجأةً، وناولني كتاباً أخذَه بالقُرب منِّي وفتحَه، وكان ديوان الشَّاعر بدَوي الجبَل، وإذا بالعَين تقعُ على قَصيدَته عن الطُّفولة الَّتي يقولُ فيها[١]:

وَسيماً مِن الأطفَال لَولاه لم أخَفْ

علَى الشَّيْب أن أنَأى وأنْ أتغرَّبا

تودُّ النجوم الزُّهرُ لَو أنَّها دُمي

ليختارَ منهَا المُترفاتِ ويلعبا

وعِندي كنوزٌ مِن حنانٍ ورَحمةٍ

نَعيميَ أنْ يغرَى بهنَّ وينَهبا

(١) ديوان بدوي الجبل: ص١٦٠ .

يجورُ وبعضُ الجـورِ حُلوٌ محبَّبٌ

ولم أرَ قبلَ الطِّفل ظُلماً محبَّباً

ويغضبُ أحيـاناً ويرضَى وحَسبُنا

من الصَّفو أنْ يرضَى علَينا ويغضَبا

وإنْ نـالَه سُقـمٌ تمنَّيـتُ أنَّنـي

فداءً له كنتُ السـقيمَ المعذَّبا

ويوجـزُ فيمـا يشتَهـي وكأنَّه

بإيجـازِه دلاً أعـادَ وأسـهَبـا

يزفُّ لنا الأعيادَ عِيداً إذا خطا

وعِيداً إذا ناغى وعِيـداً إذا حبا

كزغبِ القـطا لو أنَّه راحَ صاديًا

سكبتُ له عيني وقلبي ليشربا

وأُوثرُ أنْ يروى ويشبع ناعمًا

وأ ظمأ في النُّعمَى علَيه وأسغَبا

وأَلثمُ في داجٍ من الخَطب ثغـرَه

فأقطفُ منهُ كَوْكباً ثم كوكبا

ينامُ على أشـواق قلبي بمَهده

حَريراً من الوَشْي اليمانيِّ مُذهبا

وأُسدلُ أجـفاني غطاء يُظلُّه

ويا ليتها كانتْ أحنَّ وأحْدبا

وحملَني أنْ أقـبلَ الضَّيمَ صَابراً

وأرغبُ تحْناناً عَلَيـه وأرهبـا

فـأعطيتُ أهواءَ الخُطوبِ أعِنَّتى

كَما اقتدتَ فَحلاً مُعرقَ الزَّهْو مَصعبا

تأَبَّى طويلاً أنْ يُقــادَ وراضَه

زمانٌ فراخى مـن جمَاحٍ وأصْحَبا

تدلَّهتُ بالإيثارِ كَهـلاً ويَافعاً

فــدلَّلْتُه جَداً وأرضـيــتُه أبا

وتَخفقُ في قَلبـي قلوبٌ عديدةٌ

لقد كان شِعْباً واحداً فتشعَّبا

ويا ربِّ من أجْل الطُّفولَةِ وحدَها

أفِضْ بركاتِ السِّلمِ شَرقاً ومغرِباً

وصُن ضحكةَ الأطـفَال يا ربِّ إنَّها

إذا غرَّدَتْ في مُوحشِ الرَّمل أعشبَا

ويارِبِّ حـبِّبْ كلَّ طـفْل فـلا يرى

وإنْ لجَّ في الإعْنَاتِ وَجـهاً مُقطِّبَـا

وهيئْ له في كلِّ قلب صَبابةً

وفي كلِّ لُقـيَا مَرحَباً ثُم مَرحـبا

هذا وقد أوردتُ هذه القصيدةَ الرقيقةَ؛ لأنها

تصـوِّرُ الطفولـةَ أجملَ تَصـوير. فـمَن لا يهتـزُّ للطُّفولة؟!

ومعلِّمُنا عرضَ قضيَّتَه من خلال طفلته؛ فقد ناجـاها فـهـزَّني، وناغـاها فـأبكاني، وكـان أنْ أرسلتُ له رسالةً، أشدتُ فيـهَا ببلاغته وعبَّرتُ فيـها عن تأثُّري بمُشكلته. وكـان من جرَّاء ذلك أنْ قـابلنـي، وصـارتْ بيني وبينـه مـراسـلاتٌ. وانتهى الأمرُ بإنصَافه، وقـضاء حاجَته. وكان ممَّا قاله في إحدى رسائلِه إليَّ:

وصلتْني رسـالتُكم الكريمةُ، قـرأتُهـا خاليـاً، وقـرأتُهـا ومعي صـغـيـراتي، قـرأتُها مـسـروراً

فزادتْني سُروراً، قرأتُها محزوناً فأبدلت حُزني سروراً، قرأتها... قرأتها.

قرأتُها ولم أستطعْ وصفَ تأثيرها على مشاعري، قرأتُها فما عرفتُ مبعَثَ سُروري فيها، أمبعثُه استجابةُ مسؤول تفهَّم قضيةً؟ أم جاءَ سروري من مشاركة زميل في التَّربية لهمومي؟ أم كان سُرُوري بمعرفة أَديب؟ أم باكتساب صديق؟ أم يكونُ مبعثُ سُروري الإعجابَ والإطراءَ فيها لشعري؟ أم يكونُ ذلك السُّرورُ نتيجةً لراحة نفسيَّة أعقبتْ مواساةَ مسؤول زميل صديق أَديب، سرورٌ يبعثُه ويشعُّ ويزدادُ بعباراتها، ويشعُّ في أسطُرها وفقَراتها

ليحتَويني كياناً ويغمرُني رُوحاً بالرِّسالة كلِّها.

أبا تُركي، كُنيةٌ تحبُّها أنتَ، وأنا أحببتُ فيها التواضُعَ المنبعثَ من الثِّقة، ومن سلامة الطَّويَّة في زمن يتسابقُ فيه النَّاسُ على الألْقابِ، ويتزاحمون على أسبابها.. زمن حمل الألقاب مَنْ شوهها فلتكن أبا تركي كبيراً بثقتك عظيماً بتواضعك.

ودام التواصل مع ذلك المعلم وصار صديقاً وفياً وأخاً كريماً، ولعله يقرأ هذه السطور فيشاطرني الرضا ويبادلني المراسلة.

obeikandl.com

## ١٤- يكتب عن المدرس

يُروى أنَّ عبدَ المَلك بنِ مَرْوانَ قال: ما جلَّلَني الشيبُ وغيَّرَ سوادَ شَعرِي إلا عَرضُ عقلي على الناسِ كل أسبوعٍ.

ويقصدُ بذلك خطبتَه التي يُلقيها كلَّ جُمعةٍ على المصلِّين.

هذه مشاعرُ خليفةِ المسلمينَ، وخواطرُ الإمامِ والرَّاعي الذي له المهابةُ والسلطةُ، ومع ذلك يحسبُ للمجتمَعِ حسابَه، ويخشى نقدَ السامعينَ، وعيبَ المتلقِّين.

وذلكُمُ المعلِّمُ فهلْ يتأمَّلُ عقلَه وعلمَه الذي

يعرضُه على طلابه باستمرار؟ أولئك الطلاب الذين يقوِّمونَه، ويزنُونَه، ويعرفونَ غزارةَ علمه وتمكُّنه وقدرته.

إنَّ الطلابَ مهما اختلفَتْ قدراتُهم يُقَوِّمُونَ أساتذتَهم ويُجلُّونَ المتمكِّنَ من مادَّته، الحريصَ على العلمِ والمعرفةِ، الراعيَ للتربيةِ والسلوكِ.

وإنَّ التقويمَ يجري لكلِّ المجالاتِ التربويةِ التي يمارسُها المعلمُ في الفصلِ كالإلقاءِ، والصَّوتِ، وسلامةِ اللغةِ، وجودةِ الخطِّ، ورقابةِ الطلابِ، ومعرفةِ سلوكِهم، والحوارِ والمناقشةِ، والتمكن من المادة.

كلُّ هذه الجوانبِ يتمُّ رصدُها، ويَجري تقويمُها، ويحكمُ الطالبُ والمشرفُ التربويُّ على المعلمِ من خلالِها.

ويلزمُ القائمينَ على التعليمِ التنبهُ لتلكَ الجزئياتِ، وتذكيرُ المعلِّمينَ بينَ الحينِ والآخرِ بهذه المجالاتِ؛ فالنفسُ إذا ذُكِّرَتْ تنبهَتْ، وإذا أُشعرتْ تعدلتْ.

وذلكُم الخليفةُ عبدُ الملكِ بنُ مروانَ يحسبُ للسامعينَ حسابَهم، ويفكرُ في المتلقِّينَ، ويخشى نقدهم.

وإذا اهتمَّ المرءُ بذاته قوَّمها، ورفع من كفاءتها، وتجنَّبَ الأخطاءَ، وابتعدَ عن الخللِ،

وعملَ على إصلاحِ نقصِه وتصويبِ عيبِه.

وأحياناً يقعُ الإنسانُ في خطأ غيرِ مقصود، ويحاسبُ على عيبٍ ليس فيه، ولكنه هُوَ السببَ في ذلك.

ومن ذلك أنَّه وردني في ذاتِ يوم خطابٌ موقَّعٌ من المدرسِ (ع.م.ح) ،وتخصصُه لغةٌ عربيةٌ، يتظلَّمُ فيه من عدمِ تلبيةِ رغبتِه في الانتقالِ من منطقَةِ الرسِّ إلى منطقَةِ عنيزةَ أو القَصيم، وقد فوجئتُ بكَثرةِ الأخطاء، ورداءةِ الخطِّ، وركاكةِ الأسلوب، وطلبتُ من مُديرِ مكتبي أنْ يأذنَ لهذا المعلمِ بمقابَلَتي، ولكنَّه ذكرَ أنَّه سجّلَ الخطابَ برقم: ١٠٣٥٨، وتاريخ

٣/ ١٢/ ١٤١٣هـ وذهب. وعند ذلك أغفلتُ أمرَ النقلِ، وأحلتُ خطابَه إلى التوجيهِ التربويِّ بالوزارةِ، ودونتُ الأسئلة التالية:

١- ما اسمُ الكليةِ التي تخرَّجَ فيها المذكورُ؟ وما اسمُ الجامعةِ؟

٢- هل المذكورُ كتبَ هذا الخطابَ بنفسه أو كتبَه غيرُه؟

٣- مَنْ أعضاءُ اللجنةِ التي قابلَتْه، وأجازتْ ترشيحَه للتدريسِ؟

٤- أين تقاريرُ إدارةِ التعليمِ، وما اسمُ الموجِّه التربويِّ الذي قوَّمَه، وكيف اجتاز سنةَ التجربةِ؟

وسارت المعاملةُ في طريق آخرَ، وهو النظرُ في كفاءةِ الرجلِ، بدلاً من نقلِه. وصار المسكينُ في موقفِ الدفاعِ عن نفسِه، والإثباتِ لكفاءته، ومن موجِّهٍ لآخَر، ومن الوزارةِ لإدارةِ التعليمِ، ثُم تبيَّنَ أنَّه متخرِّجٌ في كليةِ اللغةِ العربيةِ بجامعةِ الإمامِ محمدِ بنِ سعودٍ الإسلاميةِ، فرعِ القصيمِ، وأنَّه اجتازَ سنةَ التجربةِ بتقديرٍ عامٍّ (٩٩٪)، وأنَّه متمكِّنٌ من مادَّته، وأنَّ لغتَه جيدةٌ، وخطَّه أجودُ. واستُدعيَ في الوزارةِ للتأكُّدِ ممَّا وردَ. وحضرَ إلى الوزارةِ يومَ الأحَدِ الموافقِ ٥/ ٣/ ١٤١٤هـ، وكتب أمامَ اللِّجانِ، وقرأَ أمامَ الموجِّهينَ، ونوقشَ وسُئلَ، وجرى الاطِّلاعُ على

دفترِ تحضيرِ المدرسِ المذكورِ، وتمَّ التأكُّدُ من خُلُوِّه من الأخطاءِ، واتَّضحَ أنَّ الخطابَ الذي قُدِّمَ إلى وكيل الوزارة كان مكتُوباً باسمه، ومُوقَّعاً عنه، وأنَّه أنابَ قريباً له في إعداد ذاك الخطابِ وتلك المطالبةِ التي جنَتْ عليه، وعلَّمَتْه درساً، ولقَّنَتْه تجربةً، فلا ينيبُ أحداً عنه ولا يوكلُ كاتباً يعرضُ له.

إنَّه درسٌ قاسٍ مرَّ به، ومعاناةٌ ذاق مرارتها. ولعلَّ القارئَ يستفيدُ من هذه التجربةِ، فلا يقعُ فيمَا وقعَ فيه ذلكَ المعلمُ؛ فالتقويمُ يجرِي في كلِّ مناسبةٍ، ويتمُّ أحياناً دون قصدٍ.

obeikandl.com

## ١٥- معَ المعلِّم التُّركِسْتاني

المراجعــون أشكالٌ، والقــادمــون أجناسٌ، وحَتْمٌ على المسؤول أن يخصص جزءًا من وقته لمقابلةِ أصحاب الحاجات، فخلالَ عملي الحكومي أيقنتُ أنَّه واجبٌ فتحُ الأبوابِ، ومقابلةُ الناسِ، فإنَّ الرسائلَ قد لا تُجدِي، وإنَّ الكتبَ قد لا تُقنع.

لهذا كنتُ أُقابلُ كلَّ يومٍ أفواجاً، وأسمعُ كلَّ يومٍ ألسُناً في صالةِ المراجعينَ.

وفي اليوم السابعِ والعشرينَ من الشهر السادس لسنةِ ١٤١٤هـ، وبعدَ صلاةِ الظهرِ،

وبينما كنتُ في صالة المراجعين أنظرُ في استدعاءاتهم وأقرأُها الواحد تلوَ الآخرَ، استوقفني خطابٌ رقيقٌ من معلِّمٍ غيرِ سعوديٍّ متقاعدٍ.

وحين قرأتُ اسمه قامَ الرجلُ من بينِ المراجعينَ، وأقبلَ نَحوي ليزيدَ الأمرَ إيضاحاً، ويبثَّني همومه، وصوَّبتُ النظرَ نحوَه، فرأيتُه هزيلَ الجسمِ، يدبُّ دَبيباً، وأشرتُ لأحدِ المستخدمين أن يُمسكَ به، ويساعده في الوُصولِ، ويعضدَ له في الجلوسِ.

ولَمَّا جلسَ بجانبي قال: إنَّه تركستانيُّ الأصلِ، وكان معلِّماً ومربِّياً فاستراحَ أو أُريحَ،

وقد هجرَتْه السنونَ وطواهُ الزمنُ، واسودَّ منه ما كانَ أبيضَ، وابيضَّ منه ما كانَ أسود، وتمثَّلَ بقولِ البطلِ المحاربِ والفارسِ المقاتلِ، الذي قاومَ الصليبيِّينَ، وجالدَ فُرسانَهم، وعاصرَ صلاحَ الدينِ الأيوبيَّ، الشاعرِ أسامةَ بن منقذٍ:

مع الثمانينَ عاثَ الدهرُ في جلدِي

وساءني ضعفُ رِجليَّ واضطرابُ يدي

إذا كتبتُ فخطِّي جدّ مضطرِب

كخط مُرتعش الكفَّين مرتعد

فأعجب لضَعفِ يدِي عن حمْلها قلماً

من بعد حَطْمِ القَنا في لُبَّة الأسَد

وإن مشيتُ وفي كفِّي العصا ثقلَت

رِجلي كأنِّي أخوضُ الوحلَ في الجلد

فقُل لمن يتمنَّى طولَ مدته

هذي عواقبُ طولِ العُمرِ والمدَد

وتمثل كذلك بقول أسامة في قصيدة أخرى:

ولمَّا تدَعْ مني الثمانون مُنَّةً

كأنِّي إذا رُمتُ القيامَ كسِيرُ

أؤدِّي صلاتي قاعداً وسجودُها

عليَّ إذا رمتُ السجودَ عسيرُ

وقـــد أنـذرَتْني هذه الحـــالُ أنَّني

دنَت رحلـةٌ منِّي وحـــانَ مـــســـيـــرُ

وكان الرجلُ يحدِّثُني وهو خافضُ الصوتِ، كسيرُ الفؤادِ، مطأطئُ الرأسِ يتنهَّدُ مرةً وأخرى، ويزفـرُ تارةً، ويتـأوّه تارةً، ويشكُو همّه، ويندبُ حـاله؛ فقـد اسـوَدّت الدُّنيـا في عـينَيه، مُشـتَّت الحالِ، ودَّ الرحـيلَ إلى أستراليـا؛ حيثُ لا وطنَ له، فامتنعَ الصبيةُ؛ حـيثُ ألفُوا المملكةَ وشعبها، وأحبُّوا الحجـازَ وهواءها، ولهم أكثرُ من ثلاثينَ عاماً، فكيفَ الرحيلُ؟!

وكـــان الرجلُ يطلـبُ الموافـقـةَ علـى نقلِ

كفالته، من وزارة المعارف لمُواطنٍ سعوديٍّ. وأفهمتُه أنَّ الوزارةَ لا تمانعُ في ذلك، وهذا الأمرُ من صلاحيةِ مُدير التعليمِ.

ورجوته أن لا يتأوه، وأن لا يتضجر؛ فالدُّنيا بخير، وأهلُ الخير موجودُونَ، وكتبتُ له بالموافقةِ وسُرعةِ الإنجازِ. ثُم قلتُ: وهَل لكَ من طلبٍ آخر يا والدي، فقال: نعم يا ولدي، واسمَحْ أن أخطابَك خطابَ الأبوةِ؛ فقد وجدتُ فيك أملِي ورجائِي.

قلتُ: مرحباً، ويشرِّفُني؛ فأنتَ معلمٌ، ولكلِّ معلمٍ دَيْنٌ في رقبتي. وأنتَ مدرسٌ، ولكلِّ مدرسٍ وسامٌ فوقَ جبيني.

قــال: إنَّ أولادي لهم قــصّةٌ، وعنـدي لهم حكايةٌ، فهل تسـمحُ أن أروي لك مأساتِي، وأنْ أُسمعَك أسيَّتي؟

قلتُ: انتظرْ قلـيلاً، وسـوفَ أصـحـبُك إلى مكتبي؛ فبـعضُ المراجعينَ أراهُ يتململُ، وبعضُ الحضورِ أبصرُه يتأوَّهُ.

قال: سوف أنتظرُ إن شاءَ اللهُ.

ثم نظرتُ في طـلبِ هذا، ومـوضـوعِ ذلك، وأنجـزتُهم، وأمـسكتُ بهـذا الشَّيخِ إلى مكتَبي، وتذكرتُ أسـامةَ بن منقذ، واسـتشهاده بشـعرِه، وقلتُ له إنَّ أسامةَ قال في كتابِه (الاعتبار) قولاً

جميلاً، وكلاماً بهياً. إنَّه يقولُ عن الكِبَر: لم أدرِ أنَّ داءَ الكبَر عامٌّ، يُعدي كلَّ من أغفلَه الحمامُ. فلمَّا تَوَقَّلْتُ[1] ذروةَ التسعينَ وأبلاني مَرُّ الأيامِ والسنينَ صرتُ كجَواد العلّاف لا الجواد المتلاف، ولصقتُ من الضَّعف بالأرضِ، ودخلَ من الكبَر بعضٌ في بعضٍ، حتَّى أنكرتُ نفسي وتحسرتُ على أمسِي، وقلتُ في وصفِ حالِي:

لَمَّا بلغتُ من الحياةِ إلى مدًى

قَد كنتُ أهواهُ تمنَّيتُ الرَّدى

لم يُبقِ طولُ العمرِ مِنِّي مُنَّةً

ألقى بها صرفَ الزمانِ إذا اعتدى

(١) توقل الجبل: صعده.

ضعفَتْ قُوايَ وخانني الثِّقتانِ مِن
بصَري وسَمعي حين شارفتُ المدى
فإذا نهضتُ حسبتُ أني حاملٌ
جبلاً وأمشِي إن مشيتُ مُقيَّداً
وأدبَّ في كفِّي العصا وعهدتُها
في الحربِ تحملُ أسمراً ومهنَّدا
وأبيت في لين المهاد مُسهَّداً
قلقاً كأنِّي ما افترشتُ الجلمدا
والمرءُ ينكسُ في الحياةِ وبينما
بلغَ الكمالَ وتَمَّ عادَ كما بدا

ثُم قلتُ: إنَّ أسامةَ رجلُ حروبٍ، جالدَ الفرسانَ، وشهدَ المعاركَ، ومدَّ اللهُ في عمرِه؛ إنه يقولُ: لا يظنُّ ظانٌّ أنَّ الموتَ يقدِّمُه ركوبُ الخطرِ، ولا يؤخِّرُه شدةُ الحذر؛ ففي بقائي أوضحُ معتبرٍ؛ فكم لاقيتُ الفرسانَ، وقتلتُ الأسُودَ، وضربتُ بالسُّيوفِ، وطعنتُ بالرِّماحِ وجرحتُ بالسِّهامِ والجروحِ، وأنا من الأجلِ في حصنٍ حصينٍ، إلى أن بلغتُ تمامَ التسعينَ، فرأيتُ الصحةَ والبقاءَ كما قال ﷺ: «كفى بالصحَّةِ داءً»، فأعقبتُ النجاحَ من تلكَ الأهوالِ ما هو أصعبُ من القتلِ والقتالِ، وكان الهلاكُ في كنهِ الجيشِ أسهلَ من تكاليفِ العيشِ.

استرجعَتْ منِّي الأيامُ بطولِ الحياةِ سائرَ محبوبِ اللذَّاتِ، وشابَ كدرُ النكدِ صفوَ العيشِ الرغَدِ[١].

قال هذا المعلم: إيَّ واللَّه، لقد صدق أسامةُ.

قلتُ: ما حكايةُ أولادِكَ؟

قال: إنَّ له خمسةَ أولاد، ثلاثةً يدرسُونَ في جدةَ، يرعاهُم كلَّ صباحٍ، ويراجعُ لهم كلَّ مساء، واثنين أحدها في الصفِّ الأول المتوسّط، والثَّانِي في الأوَّل الابتدائي؛ حيثُ تعذَّرَ قبولُهما في جدةَ، فجاءَ بهما إلى الرِّيَاض، وبقيت الأمُّ معهُما، وصار له داران، وأصبح له همَّان؛ فالأمُّ

(١) الاعتبار لأسامة بن منقذ: ١٧٩.

هنا عند أخيها ومع الولدين اللذَيْن يدرُسان في مدارسَ تبعدُ مسافةً كبيرةً عن المنزل، ويتنقَّلان من حافلة لأخرى، ومن حيٍّ لآخر، وهُو بين الرياضِ وجدةَ! وذرفَ دمعةَ مكلومٍ كانت أقوى من ألفِ رسالةٍ، وأبلغَ من ألفِ شفاعةٍ.

قلتُ: ولماذا قسَوتَ على نفسك وأطفالك؟! هَلاّ زرتَ مديرَ التعليمِ هناكَ في جدةَ، وعرضتَ له حاجتَك، فأجزمُ أنَّه سيلبِّي وسيُقدِّرُ.

قال: زرتُ إدارةَ التعليمِ مرةً، ولم أتمكَّنْ من مقابلة مُدير التعليمِ بسببِ كثرة المراجعين؛ حيثُ إنّ قبول غيرِ السعوديِّين يتمُّ عن طريقِ

إدارة التعليمِ.

قلتُ: كان الواجبُ أنْ تعودَ مرةً أخرى وأنْ تُقابله، وسوفَ تجدُ الحلَّ والقبولَ.

قال: لم أفعلْ. وما قضى اللهُ حصلَ وكان.

وعند ذلك هاتفتُ مديرَ التعليمِ ورجَوتُه أنْ يتصلَ بالمدارسِ التي يرغبُها ويعمدُهم بقبُولِ أبنائه؛ فهذا الرجلُ يختلفُ عن سواهُ؛ فهو معلمٌ والوزارةُ تحفظُ للمعلِّمينَ جميلهم.

ثم طيَّبتُ خاطر الرجلِ، وقبَّلتُ جبينه، وقلتُ له: إنَّك كنتَ معلماً؛ فلكَ الإكرامُ، وكنتَ مربياً؛ فلكَ التقديرُ. ونحنُ نرعى الوفاءَ

ونحفظُه ونصونُه. وذهب الرجلُ وهُو يدعو ويقول: جزاكُم اللهُ خيرَ الجزاءِ، وجعلكُم عوناً للبائسينَ.

وأسألُ اللهَ أن يتقبَّلَ دُعاءه.

obeikandl.com

## ١٦- جار المدرسة

للجوارِ حقوقٌ، وللسَّاكِن واجباتٌ، والبيتُ للراحةِ والسَّكِينةِ، والدارُ للهدوءِ والطُّمأنينةِ.

وكنتُ إبَّانَ عملي في تعليمِ الرياضِ، وفي الوزارةِ بعد ذلك، أُعاني كثيراً حينَ تهمُّ الوزارةُ بفَتْح مدرسة أو بناء أُخرى؛ حيثُ يعترضُ بعضُ المجاورينَ، ولا يُريدون المدرسةَ بجوارِهم، ولهم الحقُّ في ذلك؛ فإنَّهم يتأذَّونَ من السياراتِ، ومن إزعاجِ بعضِ الطلابِ.

ولكنْ إذا استجَبنا فلن نفتحَ دارَ علمٍ؛ فكلٌّ لا يريدُ المدرسةَ بجوارِه، ولهذا نُقاومُ ونُجادلُ،

ونقعُ في حرجٍ مع هذا، ولومٍ من ذاك، وعتابٍ من صديق جاء يشفعُ حول هذه المدرسة، وربَّما شتيمة من آخرَ بعد أن يئسَ، وتعذَّرتْ الاستجابةُ لرغبته.

وسأروي قصةً جرتْ مع جار لمدرسةٍ في مدينة الرياضِ؛ فذلكَ الجارُ عانَينَا من مراجعاته وإلحاحه، وكثرةِ الوساطاتِ التي جاءَ بهَا، ثُم الدعاءِ وربما الشَّتيمة.

وذلكَ أنَّ الوزارةَ اشترتْ أرضاً بجوارِ منزله، ولم يعلمْ هُو بالشراءِ، وامتلكت الوزارةُ الأرض، وطرحت عليها مشروعاً لبناءِ مدرسةٍ

متوسطة. وحين بدأَ المقاولُ في العملِ، ثارتْ ثائرتُه، وتفرَّغَ للمراجعةِ والشكاوى. وشكَّلت اللجانُ لمعرفةِ الضررِ الذي سوفَ يلحقُ به، وإيضاحِ الرَّأي الذي يمكنُ اتخاذُه.

وقدَّمت اللجانُ رأيَها، وذكرت أن بيته، لا أبوابَ مواجهة له، ولا حركة نحوَه؛ فالبيتُ يقعُ في الشارعِ الخلفيِّ للمدرسةِ، ومن ثم يُصرفُ النظرُ عن مطالبته.

وصارَ الرجلُ يداومُ في إدارةِ التعليمِ، ويقابلُني كلَّ يومٍ، ويترجَّى ويتوسَّلُ. وكنتُ أقولُ له: إنَّ الأرضَ اشتُرِيَتْ منذُ أمدٍ طويلٍ،

وقبلَ تكليفي بإدارةِ التعليمِ، وإنَّ أمانةَ مدينةِ الرياضِ قد وافقتْ وأقرَّت هذه المدرسةَ، ولا لومَ عليَّ ولا تثريب.

وكان مع الرَّجُلِ بعضُ الحقِّ والصوابِ؛ فهو يقولُ: إن هذه الأرض لم تخصَّصْ مرفقاً تعليمياً، وإنَّه حين اشترى أرض بيته كانتْ هذه الأرضُ تتكوَّنُ من مجموعةِ قطَعٍ سكنيةٍ، ثُم قامتْ وزارةُ المعارفِ بشرائِها وتحويلِها إلى مدرسةٍ. وفي ذلك ظُلمٌ وجورٌ.

وإنِّي أتفقُ مع الرجلِ في رأيِه، فما كان يجبُ شراءُ الأرضِ، وكان الواجبُ أنْ

يُخصَّص في ذلك المخطَّط موقعٌ تعليميٌّ. ولكن ماذا تعملُ وزارةُ المعارف؟! إنَّها مضطرةٌ؛ حيثُ إنَّ ذلك الحيَّ لم تعتمد البلديةُ فيه أرضاً مدرسيةً؛ ومن ثَم فإنَّ الوزارةَ مُجبَرةٌ علَى الشراء، وقدَرُها أن تُجابه هذه المشاكل وأنْ تُعالج هذه المسائل.

وهذا ما يوقعُ المسؤولَ في الحرجِ والمعاناة، فمن جانبٍ. مع ذلك الجارِ حقٌّ وصوابٌ، ومن جانب آخرٍ، المصلحةُ العامةُ تقتضي الشراء، وعدم النظرِ لشكوى ذلك الفرد؛ فالمدرسةُ للأمَّة وليستْ للأفرادِ، والضررُ نسبيٌّ ومحدودٌ.

واستمرَّ الرجلُ في جدالِه ومراجعاتِه،

وسَئِمنا من تـردُّده، ومَلَلْنا من كـثـرةِ خطاباته، فهذا خطابٌ من إمارةِ الرِّياض، وذلك من وزيرِ المعـارفِ، وآخرُ من المقـامِ السـامي، وثالثٌ فيـه دعاءٌ، وتخويفٌ بالله.

وكنتُ فـي همٍّ وبلاء، فـالرجـل يُريدُني أن أقف مـعـه، وأنْ أُخـالفَ اللجـانَ في رأيِهـا، ويطلبُ أن أوقفَ المشروعَ، وكـانَ الموظَّفونَ في الأقـسـامِ المخـتلفـةِ يتـهرَّبُونَ من مـصـارحـتِه، ويخشـون مخاصمَتَـه، ويتمنَّعون من مـجادلتِه، ويتركونه لمديرِ التعليمِ.

آهِ، مـا أصـبـركُم زُمـلائي مُديري التـعليمِ! وكـان اللهُ في عـونـكم على تحـمُّل هذا وذاكَ،

ورحمَ اللهُ الشاعرَ المتنبِّي حين قال:

وسِوى الرُّومِ خلفَ ظـهـرِكَ رُومٌ

فـــعلـى أيِّ جـــانبَيْكَ تمـيلُ؟

إي واللَّه، عـلى أيِّ جـــانـب يميلُ مـــديرُ التعـليمِ؟ وعلى أيِّ طريق يقفُ مديرُ التـعليمِ؟ وكيف يُرضِي الناسَ مديرُ التعليمِ؟

وصـار ذلك المـراجعُ يحـضـرُ كلَّ يومٍ إلى إدارةِ التـعـليمِ، ويجلسُ لدَى مُديـرِ المكتَب معَ المراجعين، وحين أدخلُ المكتبَ يحـملقُ بعيـنَيه حملقةَ عتابٍ وأسًى، وحينَ أخرجُ ينظرُ نظراتِ غـيظٍ وعـداءٍ. وكنتُ أقـولُ: حنانيك ربَّاه مـاذا

أعملُ لهذا الرَّجُلِ؟ هل أستدعي الشرطةَ، وأطلبُ منهُم منعه من المراجعةِ؟ وهل أكتبُ للإمارةِ وأرجُوها استدعاءَه والتأكيدَ علَيه بعدمِ المطالبةِ؟

واحترْتُ في ذلك الإنسانِ الذي صار يداومُ كلَّ يومٍ، ويجلسُ مع المراجِعين، ويُهَمهِمُ ويُناجي نفسَه، ويُحدِّث ذاته، ويقولُ للحضورِ: أَشيرُوا على مديرِ التعليمِ أن يمنع الأذى عن منزلي، قولُوا لمُدير التعليمِ أنْ يكفَّ البلاءَ عن دارِي، ساعدُوني في إقناعِ مديرِ التعليمِ وارحمُوني في دفعِ المظلمَة عن مسكنِي.

وقلتُ له ذاتَ يومٍ: أين تعملُ؟

قال: في وزارةِ ....

قلتُ: ألا يسألونَ عن غيابِك؟

قال: إنِّي أستأذنُ.

قلتُ: وإلى متى؟ ألم تزعجْهم بكثرةِ الخروجِ؟

قال: إنِّي أخذتُ إجازةً للمراجعةِ، وسوفَ أداومُ عندكم يومياً.

قلتُ: للَّه الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ، وكان اللهُ في عوننا. ومضتِ الأيَّامُ وكان المقاولُ نشيطاً، ورحمنا اللهُ بهمَّتِه وسُرعتِه، فقد كان يعملُ ليلاً

obeikandl.com

ونهاراً، ولمْ يتوقَّفْ، وشيَّد المبنى في مُدةٍ وجيزةٍ.

وكان المقاولُ قد عرف بمراجعة ذلك الجارِ، وخشيَ من إيقافِه، ولهذا ضاعفَ الجهدَ، ورغب أن يضعه أمامَ الأمرِ الواقعِ. وتحقَّقَ الهدفُ؛ فقد أيقنَ الرجلُ بعد ذلك بعدم إمكانِ التوقُّفِ.

ولهذا طلبَ أن لا يفتحَ أيُّ بابٍ على الشَّارعِ الذي يقعُ فيه بيتُه، فاستجَبْنا، وطلب أنْ نضع حواجزَ من صاجِ الألومنيوم أمامَ الشبابيكِ المواجهةِ لدارِه، فاستجبنا.

ومع أنَّنا لبَّينا هذه الطلبات، إلاَّ أنَّه ظلَّ يتحسَّرُ ويتأسَّفُ، وأحسبُه اتَّخذ من شخصي عدُواً، وأظنُّه اعتبرني خصماً، وصنَّفني من المكروهينَ.

هذه واحدةٌ من الهُمومِ وصورةٌ من المعاناةِ، مع أنَّني لم أختر الموقعَ، ولم أقصدْ أذيةَ الرجلِ، ولكنَّها طبيعةُ العملِ، ولا أقولُ الآن إلاَّ: غفرَ اللَّه له، وصرتُ إذا مررتُ بهذه المدرسةِ تذكَّرت جارها؛ فالموقفُ لا يمكنُ أن أنساهُ.

obeikandl.com

## ١٧- بين مدرستين

زرتُ ذاتَ مرة، مدرستين ابتدائيَّتين في مدينةِ الرياضِ، يومَ كنتُ مُديراً للتعليمِ، وكانتا في حيٍّ واحد، وإمكاناتُهما متماثلةٌ ومبانيهما حكوميةٌ، وهما متقابلتانِ، ويفصلُ بينهما شارعٌ رئيسٌ.

ولكنَّ بين الاثنتين بوناً شاسعاً؛ فحين وصلتُ الأولى وجدتُ الطلابَ في السَّاحاتِ وهم شذرَ مذرَ، فقد كانَ وقتُ الزيارةِ أثناء الفسحة الكُبرى، وحريٌّ بالمسؤولِ التَّعليميِّ أنْ يزور المدارس في هذا الوقت؛ فالطلابُ قد اختلط بعضُهم ببعضٍ؛ حيثُ يبدُو أثرُ التربيةِ،

وكيف السلوكُ؟ ومدى المراقبةِ، ثم جهود المدرسة في التوجيه والمتابعة.

ورأيتُ الطلابَ، ما بين مجموعةٍ يتقاذفون بقايا الأطعمةِ، وأخرى يتصارعونَ فيما بينهم، وثالثةٍ يحاولونَ تسلقَ سورِ المدرسةِ.

والأغربُ من ذلك وجدتُ مجموعةً تحلَّقُوا حولَ أثاثٍ تالفٍ، وقد وقفَ واحدٌ منهُم فوقَ كرسيٍّ وكنبةٍ قديمةٍ ويُعلنُ بيعَ الأثاثِ والطلابُ يُزايدونَ فيما بينهم بقرشٍ وقرشينِ ويضحكونَ ويهزأونَ.

وبحثتُ عن المديرِ والوكيل والمعلمينَ، فلم

أجـدْ أيّاً مـنهُم بين الطلابِ، وصـــرتُ أرقبُ المشهدَ بنفس متألِّمة، وروحٍ حزينة، وضاقتْ بي الأرضُ، واختنقت أنفاسِي، وأسفتُ لهذا الإهمالِ، فكيف تكونُ التربيةُ إذا كان هذا واقع المدارسِ؟ وكيف يُبنى رجالُ المستقبلِ إذا كانتْ هذه حالة الطلابِ؟

ثم أخذتُ أبحثُ عن المعلِّمين وعن مُديرِهم وأتجـولَّ داخلَ المدرسـةِ، وأروقَتِها ،وشـممتُ رائحـةَ الأكلِ، وسـمعـتُ قـهـقـةً من إحـدى الغرفِ، وفتـحتُ الباب، وإذا بي أجدُ المعلِّمينَ، وقـد تحلَّقُوا حول مـائدةِ الإفطارِ، يتـبـارونَ في الضحكِ والتعليقِ فيما بينهم. وتذكرتُ ما رواهُ

الخطيبُ البـغـداديُّ في تاريخِ بغـداد عن أبي العـاليةِ الشـاميِّ، مـؤدِّبِ ولدِ المأمونِ، أنَّه قـال: لقي رجـلٌ يحـيى بن أكـثـمَ وهو يومـئذٍ على القـضـاءِ، فـقـال له: أصلحَ الـلهُ القـاضي، كم آكلُ؟ قال: فوق الجـوعِ ودونَ الشَّبعِ. قال: فكم أضـحكُ؟ قال: حـتَّى يُسْفِرَ وجـهكَ، ولا يَعْلو صـوتُك. قـال: فكم أبكي؟ قـال: لا تملَّ البكاء من خـشـيـةِ اللهِ تعـالى. قـال: فكم أخـفي من عملِي؟ قال: ما استطعت. قال: فكم أُظهرُ منهُ؟ قـال: ما يقـتدي بك البـر الخيـر، ويؤمنُ عليك قـولُ الناسِ. قـال الرجلُ: سـبحـانَ اللهِ، قـولُ قاطنٍ وعملُ ظاعنٍ!

إي واللـهِ، أكلٌ يُتْخِمُ، وضـــــحكٌ يـعلُو، وإهمالٌ وضياعٌ.

إنَّ المدرسة دارُ تربيـةٍ قبل أن تكون دار علمٍ، ومكانُ إعدادٍ وبناءٍ، وموضعُ خُلقٍ وسلوكٍ.

ورثيتُ لحـالِ المـدرسـةِ، وأسـفـتُ لوضع الطلابِ. آه لو يعلمُ آباؤُهُم هذا التفريط!

إنَّهُم أمانةٌ، فكيف ضيَّعناها؟! وعقولٌ غضّةٌ فكيف رعيناها؟

وسـألتُ عن المُديرِ والـوكـيلِ فـإذا هُمـا بين الجالسينَ وقد هالَهم مرأى، وأزعجهم دخُولي، ولهـذا مـا إنْ رأَوْني حـتَّى هَبُّوا من جُلوسـهم،

وأسرَعوا في الخُروج وقد طأطؤوا رؤوسهم، وتلكَّؤُوا في السَّلامِ، وارتبكوا في الكلامِ.

وصحبتُ المديرَ والوكيلَ إلى الساحة ليرَوا الإهمالَ، ويُشاهدوا التفريط. وقد عاتبتُهم وساءلْتُهم عن هذه الغفلة، وكدتُ ـ والله ـ أفقدُ السيطرةَ على مشاعري وأعلوهُم ضرباً ورفساً.

وانصرفَ الطلابُ إلى فصولهم، وتبعتُهم مع مدير المدرسة، وبدأنا نتجولُ بينَ الفصول، وتوقَّفتُ في أحد فصول الصفِّ الثالثِ الابتدائيِّ، وبقيتُ أستمعُ لشرحِ المعلمِ، وكانت المادةُ رياضيَّات، ولمحتُ طالباً في مؤخرةِ

الفصلِ قد أطرقَ برأسه، وسرحَ بخياله، وغابَ شعورُه، فتوجَّهتُ إليه، ووقفتُ بجانبه، وسألتُه أينَ كتابُه؟ فأجابني بأنَّه لا يوجدُ معه كتابٌ.

والأغربُ من ذلك كلِّه أنَّ مديرَ المدرسة وذلك المعلمَ طلبا أنْ أتركَ هذا الطالبَ، وأن لا أناقشه؛ لأنَّه ضعيفٌ، ولا يجدُ رعايةً من ذويه، ورغبَ المذكورانِ أنْ أناقشَ غيره.

وزادَ ألمي هذا الجهلُ التربويُّ، وعظُمَ أسفي بهذا الخللِ التعليميِّ.

وزفرتُ زفرةَ مكْلومٍ، وتنهَّدتُ تنهُّدَ مأسورٍ، ثُم قلتُ: ويلٌ للتعليم من هؤلاء الرِّجال؟ وسألت: لماذا لم يُصرفْ لهذا الطالبِ كتابُ

الرياضيَّات؟! قال المعلمُ: لقد أخبرتُ الوكيلَ والمديرَ ولكنَّهما قالا: إن الكتبَ نفَدتْ.

قلتُ للمديرِ: ألم تتصرفْ.

قال: راجعْنا إدارةَ التعليمِ، ولم نتسلَّمْ منهم النواقصَ بعدُ.

وسألتُ طلابَ الفصلِ: هل صُرفَتْ لهم جميعُ الكُتبِ.

قالوا: نعَم.

وتأكَّدتُ أنَّ النقصَ فقط في الرياضيَّات، وأنَّه لهذا الطالبِ وحده. وخرجتُ من الفصل، ورثيتُ لحالِ المدرسةِ،؛فزجاجُ النوافذِ محطَّمٌ،

والممرَّاتُ مليئةٌ بالأوساخِ، والأبوابُ مهشَّمةٌ، وفي كلِّ زاويةٍ تجدُ أثرَ الإهمالِ، وفي كلِّ ناحيةٍ تلقى نتائجَ التسيُّبِ.

وطلبتُ من المُدير أن يفتحَ المستودعَ لنبحثَ عن كتابِ الرياضيَّات لذلك الطالبِ، وارتبكَ المديرُ، وحاولَ التهربَ بعدمِ وجودِ مفتاحِ المستودع. وأمرتُه بكسرِ القفلِ، ثُم نزعتُ الغُترةَ والعقالَ، وبدأتُ أُرتِّبُ ذلك المستودع البائسَ، والمديرُ والوكيل والمستخدمون يشاركونني في الترتيبِ والتنظيمِ، وفجأةً أجدُ كرتوناً كاملاً من كُتُبِ الرياضيَّات للصفِّ الثالثِ الابتدائيِّ يحتوي على عشرين نسخةً.

وقلتُ للمديرِ: الويلُ لكم تزعمونَ أنَّ إدارةَ التعليمِ لم تصرف الكتب، وأن العيب في مستودعاتِ الإدارةِ، والسّوءُ والخللُ فيكُم أنتم! وأخذتُ نسخةً، وذهبتُ بها إلى ذلك الطالب، وسلمتُها إيَّاه، ووضعتُه في الصفِّ الأمامي، وطلبتُ التركيزَ عليه والاهتمام به.

هذه صورةٌ قاتمةٌ للمدرسةِ الأولى التي لازالتْ ذكراها باقيةً منذُ أكثرَ من خمسة عشر عاماً.

أمَّا المدرسةُ الأخرى فهنيئاً لطلابِها، وبورِكَ في مديرِها، وسعداً لمنسُوبيها.

وصلتُ لهذه المدرسةِ في يومٍ آخر، وفي

الوقت نفسه، في الفُسحة، ووجدتُ الهدوءَ والنظام، وكأنَّني أدخلُ مستشفًى؛ فالطلابُ يراقبُ بعضُهم بعضاً، والأفنيةُ نظيفةٌ والممرَّاتُ جميلةٌ، والفصولُ بهيّةٌ.

والمدرِّسونَ متفرِّقونَ يراقبونَ ويوجِّهونَ، والمديرُ بين الطلابِ يتابعُ ويراقبُ ويُربِّي.

ورأيتُ صُوراً تربويةً متعددةً؛ فالمكتبةُ المدرسيةُ يتدافعُ الطلابُ نحوها، ويُقدِّمونَ للقائمِ عليها بحوثهم وأجوبتهم عن مسابقاتٍ تُنظَّمُ لهم.

ومجموعةٌ أخرى في غُرفةٍ للمسرح المدرسيِّ، يتناوبُ الطلابُ فيها على الإلقاء

والخطابةِ، والحوارِ والمناقشة، وبينهم مُعلمٌ يُوجِّه ويُقوِّمُ، ووكيلُ المدرسةِ يُساعدُه.

وفئةٌ أخرى من الطلابِ رأيتُهم في النشاطِ الفنيِّ وتحسينِ الخطوطِ، وقد رسمُوا لوحاتٍ فنيةً، وعملوا خطوطاً جميلةً.

وانتهى وقتُ الفراغِ، ثم انصرفَ الطلابُ بكلِّ أدبٍ وتربيةٍ، في خيطٍ مستقيمٍ، الواحد تلو الآخرِ إلى فصولهم.

وتجولَّتُ في الفصولِ، وتنقَّلتُ في المدرسة، وصعدتُ فوقَ سطوحِها، حيثُ يستخدمُه مديرو المدارسِ للرَّجيعِ من الأثاث، وقد رأيتُ النظافةَ والنظامَ، ولم أجدْ خللاً يعيبُ، ولم أرَ

نَقصاً يُذكر، بل وجدتُ المقاعدَ القديمةَ التي أتذكرُ أنَّها كانتْ موجودةً يومَ كنتُ طالباً في المرحلةِ الابتدائيةِ قبلَ أربعينَ عاماً.

نَعم، وجدتُ تلك المقاعد المستطيلةَ التي يجلسُ عليها خمسةُ طلابٍ وستةٌ.

وشكرتُ ذلك المدير، وأطريتُه، وكِدتُ أقبِّلُ رأسه؛ فقد حفظ الأمانة، وصان الرسالة.

ونقلتُ هذه الصورةَ عن هاتين المدرستين لزُملائي في إدارةِ التعليمِ، وتبادلْنا الرأي، وتمَّ الاتفاقُ على التعميمِ على جميع مدارسِ مدينةِ الرياضِ بهاتين الحالتين، لومٍ لتلكَ، وإطراءٍ للأخرى، عتابٍ للأولى، وشُكرٍ للثانيةِ.

وصدر التعميمُ بأسماءِ المدرستين، وتبعه خطابُ شُكرٍ، جرى تعميمُه لمديرِ المدرسة الثانية، وكذلكَ لوكيله، ولجميعِ المعلِّمينَ في تلكَ المدرسةِ.

كما جرى إبعادُ ذلك المديرِ المهملِ، والوكيلِ المتكاسلِ، وتمَّ توزيعُ المعلِّمينَ في تلكَ المدرسةِ البائسةِ.

وكذلك عاتبتُ المشرفين التربويِّين المسؤولينَ عن تلكَ المدرسةِ، وكيفَ تركُوها تصلُ لهذا المستوى الرَّديءِ.

وأصدَرنا تعميماً بمنعِ الإفطارِ الجماعيِّ في المدارسِ.

هذه أحوالُ المدارسِ، فيها الممتازُ والرديءُ، وبينها المدركةُ لرسالتها، والغافلةُ عن وظيفتها.

وكان اللهُ في عَونِ المشرفينَ والقائمينَ على التعليم.

obeikandl.com

obeikandl.com

## ١٨- العاشرة

سمَّاها بعضُ الموظفينَ العاثرةَ، وقال آخرون هي الحاشرةُ؛ وذلك أن نظام الخدمة المدنيَّة والمراتب الوظيفيَّة التي يشغلُها مُوظَّفو الحُكومةِ تتدرَّجُ من المرتبةِ الأولى حتَّى الخامسةَ عشرةَ.

والترقياتُ للموظَّفين تتابعُ حتَّى المرتبة العاشرة، وفق ضوابطَ معتمدة، من أهمِّها الأقدميةُ، وانقضاءُ أربعِ سنواتٍ على الموظفِ في المرتبةِ، وما لديهِ من دوراتٍ تدريبية.

أمّا ما بعد العاشرة، فيتغيَّرُ الأمرُ، وتكونُ الترقيةُ حسبَ رؤيةِ رئيسِ الجهةِ الحكوميةِ،

وحسبَ تزكيتِه؛ لأنَّها وظائفُ قياديةٌ، وإحداثُها قليلٌ.

وقد كان في إدارة التعليمِ بالرياضِ مجموعةٌ من الموظَّفين وصلوا للمرتبة العاشرة، وتوقَّفت ترقيتُهم، ومنهُم رؤساءُ أقسام أعرفُ أنَّهم يتحمَّلون شيئاً من المُعاناة، وقدراً من المسؤوليَّة، وكنتُ أعرفُ الجهودَ التي يقدِّمونها، والأعمالَ التي يؤدُّونَها.

ولقد كُنت وأنا مديرٌ للتعليمِ بالرياضِ، أُطالبُ للقياديِّين بالترقية، مثلِ رئيسِ التفتيشِ الإداريِّ، ومديرِ شؤونِ الطلابِ، ومديرِ

الموظَّفين، ومديرِ الشؤونِ الماليةِ، ومديرِ شؤونِ المعلِّمينَ، وغيرهم من رؤساءِ الأقسامِ.

وانتقلتُ وكيلاً لوزارة المعارف في عام ١٤١٢هـ، ولم تتحقَّقْ ترقيةُ أيٍّ من هؤلاء الرِّجال، وذلك أنَّ الوظائفَ العليا لوزارة المعارف وفُروعها مركزيةٌ، ويتفاضلُ عليها جميعُ الموظَّفين في مختلفِ الفروعِ.

وحين باشرتُ العملَ في الوزارةِ عذرتُ أخي وكيل الوزارة السابق الدكتور سعود الجماز، ومعالي وزير المعارف آنذاك الدكتورَ عبد العزيز الخويطر في عَدمِ استجابتهم لمُطالَبَتي بترقيَةَ زُملائي في إدارة التعليمِ بالرياضِ؛

فالوظائفُ العُليا (الحادية عشرةَ وما فوقها) قليلةٌ، والمطالبونَ بالترقية كثيرون، والضغطُ الاجتماعيُّ على وكيل الوزارة قويٌ؛ فالكلُّ يريدُ تزكيةً لمعالي وزيرِ المعارفِ.

وبدأَت الوفودُ تتقاطرُ للمُطالبة بالترشيح، وصارَ بعضُ الموظَّفين يتوالونَ في المراجعة والإلحاح، ولقد تمنَّيتُ عدمَ وُجود وظائفَ شاغرةٍ بالمرتبةِ الحاديةَ عشرةَ وما فوقها؛ فالمستحقُّون للترقية في وزارة المعارف قرابة ثلاثمائة شخصٍ، والوظائفُ الشاغرةُ لا تتعدَّى أصابعَ اليدِ فكيف نختارُ؟ وكيف نَعْدلُ؟ وكيف نُرشِّحُ؟

وكان أمامي خياران، أحلاهُما مُرٌّ، كما قال الشاعرُ أبو فِراسٍ الحمدانيُّ:

وقال أُصَيْحابي الفِرار أو الرَّدى

فقلتُ هما أمْرانِ أحلاهما مُرّ

وكان الخيارُ الأولُ يقضي بتأجيل الأمر، وعدمِ حسمِ الموضوعِ، وتسويفِ الموظَّفين، وعدمِ مجابهتهم، والدخولِ معَهم في جدالٍ؛ فالكلُّ منهم يرَى أنَّه الأحقُّ وأنَّه الأجدرُ.

أمَّا الخيارُ الثَّاني فالتوكُّلُ على اللَّه وتطويرُ الآليةِ القائمةِ والإجراءِ المتبعِ، ولا ضيرَ من اللَّومِ والعتابِ؛ فهذهِ ضريبةُ المسؤوليةِ.

وعرضتُ هذه المشكلةَ والمعاناةَ على معالي وزير المعارف آنذاك، الدكتور عبد العزيز الخويطر، وتشاورتُ معَه، وخرجتُ بتوجيه منه بتطوير الإجراء القَائم، وتشكيل لجنة من ذوي الخبرة والكفاءة، والأمانة والعدالة تتولَّى الأمرَ، على أنْ يُراعى في الترشيحِ للوظائفِ العُلْيا كفاءةُ الموظَّف، وقُدرتُه على الأعمال القيادية، وأنْ تكونَ الأولويةُ لرؤساءِ الأقسامِ والقياديِّين في الوزارةِ وفروعِها.

وتمَّ تشكيلُ لجنة حسبَ توجيه معاليه، وأقرَّ معالي الوزيرِ أسماءهم، واعتمدَ الأساسَ الذي

يعملونَ بموجبِه.

وقبلَ أنْ تبدأَ اللجَّنةُ في العملِ فُوجئْتُ برئيسِها وأعضائِها ذاتَ يومٍ يزورونني في المكتبِ، ويطلبونَ الجلوسَ معي، ويعرضونَ شرطاً حيَّرني، وهو عدمُ الإعلانِ عن أسمائِهم، فلا يريدونَ الإحراجَ، ولا لومَ الموظَّفين المطالبين بالترقيةِ، وقالوا: ما دام معالي الوَزير وأنتَ تثقونَ بأمانتنا وتقبلون رأينا، فثقوا أنَّنا سنتحرَّى العدلَ، فنحنُ قُضاةٌ ائْتُمنَّا، ونخشى الله ونخافُه، لكنَّنا لا نريدُ الدخول في المخاصمة والشفاعة مع هذا وذاكَ، ونودُّ أن تبقى أمورُ اللَّجنة وأسماءُ أعضائها سريةً. قلتُ لهم: للَّه

الأمـرُ مِن قَبْلُ ومِن بَعْدُ، وإنَّ في هـذا الإجـراء إحـراجٌ لي، فسـوف أتحـمَّلُ العـتاب، وسـوف أكونُ الملومَ؛ حيثُ إنَّ مـعالي وزيرَ المعارف تردُ إليه الأوراقُ من وكيله، وسيكونُ اللَّومُ لوكيله.

وبدأَت اللجنةُ عـملهـا، ورشَّحت الموظَّفين، ووافقَ وزيرُ المعارف على الترشـيحات، وجرى شـغلُ الوظائف الشـاغرةِ، وتمَّت ترقـيةُ رُؤسـاءِ الأقسامِ في عـدد من مناطق التعليمِ، ومِن بينهم مجموعةٌ في إدارةِ التعليمِ بالرياضِ.

ووقعَ ما خشيتُه؛ فقد ظنَّ بعضُ الموظَّفينَ أنَّ الترشيحـاتِ فرديةٌ من قِبَل وكيلِ الوزارةِ، وأنَّها

وفقَ عـواطفـه ومـشـاعره، وحـسبَ عـلاقـتـه وصداقته.

وإنِّي ـ وقد تركتُ العـمل ـ يعلمُ اللهُ وحده أنَّه لم يُرشَّحْ واحـدٌ لعـلاقـة أو صـداقـة؛ فكلُّ الترقيات تمَّت بواسطة اللِّجانِ، وبمعرفة وموافقة مَعـالي وزير المعارِف، وتمَّت لـلقيـاديِّين، ثم لمن هو مـؤهَّلٌ لأنْ يكونَ قيـادِياً، ولمن هو مـشهـودٌ لهُم بالعملِ الدؤوبِ والأداءِ المتميِّزِ.

وأحـمـدُ الـله أنَّ العـتـابَ كـانَ من أفـراد محـدودينَ، لقيتُ منهم عَناءً؛ فقـد بذلوا جُهداً لاسـتـثنائهم مـن المُفـاضلة، ووسَّطوا عـدداً من

كِرامِ القومِ، وجاؤوا بخطاباتِ شفاعةٍ من هذا وذاكَ. وكنتُ أقولُ لهم: لا نستطيعُ أنْ نتجاوزَ اللجانَ المشكَّلة ولا القراراتِ المعتمدةَ، وكان وزيرُ المعارف الدكتورُ الخويطرُ، وكذلك الدكتور الرشيدُ من بعده يعتمدون على رأي اللِّجانِ، ويقبلونَ ترشيحاتهم.

وتوالى العتابُ من عدد من الموظفين، وتطاولوا في القول بعد أن تعذَّرت الشفاعاتُ، وحين سئمت من كثرت مراجعتهم وإلحاحهم أرسلت للجنة الشفاعات التي ترِدُ، والوساطاتِ التي تصلُ، وكان رأيُهم الحزمَ والعدلَ. وقالوا ذاتَ يوم: إذا شِئتُم استثناءهم فلا تعرضوا

أمرهم على اللجنةِ.

وحين رأيتُ هذا العناءَ وذلك الظنَّ الباطل تذكَّرتُ ما رواه البخاريُّ[١] من أنَّ صفيةَ زوجِ النبيِّ ﷺ جاءت إلى رسول اللَّه ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخرِ من رمضان، فتحدَّثَتْ عنده ساعةً، ثم قامتْ تنقلبُ، فقام النبيُّ ﷺ معها يَقْلبُها[٢]، حتَّى إذا بلغتْ بابَ المسجد عند بابِ أمِّ سلمةَ مرَّ رجُلانِ من الأنصارِ، فسلَّما على رسُول الله ﷺ. فقال النبيُّ ﷺ: على رِسْلكُما، إنَّما هي صفيَّةُ بنتُ حُيِيٍّ. فقالا: سبحانَ اللهِ يا رسولَ اللهِ. وكبُرَ

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: ٢٠٣٥ .

(٢) يقلبها: أي يرُدها إلى منزلها.

عَليهـما، فـقال النبيُّ ﷺ: إنَّ الشـيطان يبلغُ من ابن آدم مبـلغَ الدَّمِ، وإنِّي خشيتُ أنْ يـقذفَ في قلوبكُما شيئاً.

وكـــان ﷺ يريدُ بذلك إزالـة الظنِّ، وإبعـــاد الشُّبـــهـة، وهُو المصـطفى ﷺ، فكيف بـنا نحنُ المساكين.

ولهذا رجوتُ معالي وزير المعارف، الدُّكتور محمد الرشيد أن يُعدِّل في الإجراء، وسمَّيتُ له لجنةً أُخـرى، من مـجمـوعـة من كِبار مـوظَّفي الوزارة. وقامت الوزارةُ بتطويرِ المعاييرِ القائمة. وعـرف الموظَّفـون أعـضـاء هذه الـلجنة فـقـد صارت الـلجنةُ تُجري لهم المقـابلاتِ، ومن ثم

تقومُ بالتَّرشيح، ثم تعـرضُ عليَّ ما تتوصَّلُ إليه لأدوِّنَ رأيي، وأعرضه على معالي وزيرِ المعارفِ الدكتورِ محمد الرشيد.

وباشرتْ تلك اللجنةُ أعمالهـا، وجرى ترقيةُ مجموعـةٍ مِن موظَّفي الوزارة، ومع ذلك كانت المعانة من هذا وذاك، فصـاحب الحاجة ملحاح، وكل يرى في نـفسـه الكفـاءة، وكل يرى أنه الأحق والأجدر.

وكان الله في عـون المسؤولين فـإنهم يلقون لوماً وتجريحاً من بعض الموظفين الذين ينساقون وراء عـواطفـهم الشخـصـيـة ويظنون الظنون، ولهـذا أتمنى من الـقـارئ الكـريم أن لا يسيء

الظن بأخيه المسلم فالمرءُ منسوبٌ إلى فعلِه.
يقولُ عليُّ بنُ الجهمِ:

والمرءُ منسوبٌ إلى فعلِه

والناسُ أخبارٌ وأمثالُ

يا أيُّهـــا المطلِقُ آمـــاله

مِن دُون آمـالك آجـالُ

ما أحسنَ الصبرَ ولا سيَّما

بالحرِّ إنْ ضَاقتْ به الحالُ

obeikandl.com

## ١٩- الأرض الهديّة

ما أسعدَ المسؤولَ حين يكونُ إلى جانبِه رجالٌ مخلصون!

وما أجملَ الاحترازَ والاحتياطَ!

وحريٌّ بالمسؤولِ أنْ يبتعدَ عن الشُّبهةِ والظنِّ، وأن يجعلَ مِن نفسِه قُدوةً ومثلاً.

يقولُ الشاعرُ ابنُ زيدُون(١):

لا تَترُكنْ للناسِ موضِعَ شُبهةٍ

واحزِمْ فمِثْلُكَ في العظائمِ أحزمُ

---

(١) ديوان ابن زيدون، ص١٩٠.

وكثيرة هي المواقف التي تتطلب من المسؤول الحزم واليقظة.

وذات يومٍ في إدارة التعليم بالرياض، وأظنُّه في شهرِ رمضانَ عامَ ١٤٠٣هـ جاءَ إليَّ في المكتبِ المفتشُ الإداريُّ عقلاء العقلاء ومعه معاملةٌ بين يديه، وقال: هذا محضرٌ لاستلامِ أرضٍ جرى إفراغها لصالحِ الوزارة، ومطلوبٌ توقيعُ محضر الاستلامِ، وتسليمُه لصاحبِ الأرضِ، ليتسلَّمَ الشيكَ من مندوبِ أملاكِ الدولة في وزارة المالية والاقتصاد الوطنيِّ. وكانتْ قيمةُ الأرض خمسةَ ملايينَ ريالٍ تقريباً، وتقعُ في جنوبِ الرياضِ بحيٍّ بدرٍ في منطقةِ

الشِّفَا.

قلتُ: وهل تمّ الإفراغُ وجرى الشراءُ؟

قال: نعمْ.

قلتُ: هل وقَّعتُم على المحضر، وهل تمَّ تحديدُ أركانِها ومعرفةُ موقعها مِن قِبَلِ القسمِ الهندسيِّ؟

قال: نعمْ.

قلتُ: إذاً ما المطلوب؟ ولماذا جئتَ بالمعاملةِ؟

قال: إنّي أودُّ أنْ أخبركَ أنَّ هذه الأرضَ سبقَ أن تبرَّعَ بها للوزارةِ مالكُها السابقُ.

obeikandl.com

قلتُ: وكيف جرى بيعُها وهي هديةٌ؟!

قال: أظنُّ أنَّ الإهداءَ مشروطٌ.

قلتُ: أعطني المعاملة ومحضر الاستلامِ، وابحثْ عن خطابِ الإهداءِ.

قال: إنَّ البائعَ موجودٌ بمكتبي ،ويريدُ توقيعَ المحضرِ ليستلمَ الشيكَ.

قلتُ: اصرِفْه، وأخبِرْه أنَّ عليه المراجعةَ بعد أسبوعٍ. وذهبَ الأخُ عقلاءُ. وفي اليومِ الثَّاني أحضر خطابَ الإهداءِ، وقال: هاهو، ولكنَّ فيه شَرطاً.

قلتُ: وما الشرطُ.

قال: إنَّ مالك الأرضِ الأوَّلَ تبرَّعَ بها، وأهداها للوزارةِ شريطةَ أنْ يُقامَ عليها المشروعُ في العامِ نفسه (١٤٠٠هـ)، وأظنُّه قد باعها حين لم يتمَّ البناءُ وتنفيذُ الشرط.

ونظرتُ في الخِطابِ وإذا هُو كذلكَ، وكانَ تاريخُه قبل ثلاثِ سنواتٍ.

وتأمَّلتُ الأمْرَ، ثم أجريتُ اتِّصالاً هاتفياً بالمتبرِّعِ، وأخبَرتُه أنَّه سبقَ أنْ تبرَّعَ بهذه الأرضِ لإدارةِ التعليمِ، وأنَّه قد اشترطَ إقامةَ المشروعِ في العامِ نفسِه، وأنَّ المقاولَ موجودٌ منذُ أَمدٍ، ولكنْ

تأخَّرَ تنفيذُ المشروعِ بسببِ عدمِ وجودِ رخصةِ البناءِ الَّذي تعذَّرَ إخراجُها؛ لأنَّه لم يُفرغِ الأرضَ لصالحِ الوزارةِ، ثُم قلتُ له: إنَّ المؤسفَ أنَّ هذه الأرض جرى بيعُها لشخصٍ آخر، وأنَّها بيعَتْ للوزارة، وإنَّني أمسكتُ بالأمرِ، وأخبرتُه أنَّ مقاول البناءِ موجودٌ، وأنَّه يترددُ لاستلامِ الموقعِ.

وبعدَ حوارٍ ونقاشٍ قال: اتركْ لي الأمرِ لأنظر. وكان رجلاً كريماً، ومن أصحاب السمو الأمراء.

وما هي إلا أيامٌ وإذا بِه يرسلُ صكَّ الإفراغِ

للوزارةِ، ويُلغِي ذلك البيعَ، وتعودُ الأرضُ هديةً لإدارةِ التعليمِ.

أمَّا ذلك البائعُ فقد وسَّط هذا، وشفعَ بذاكَ لكيْ نسلِّمَه الشيكَ، ونتجاهلَ التبرعُ.

وحينَ يئسَ البائع زارني في مكتَبي بإدارةِ التعليمِ، وكان ذلك في شهر رمضانَ المبارك، وقال: إنَّ هذا الشيكَ الذي أوقَفتَه سبقَ أن خصَّصه زكاةً وصدقةً عن أملاكه الأخرى، ويرجُو أن لا أتسبَّبَ في تأخيرِ تلك الزَّكواتِ.

قلتُ له: لا تحاولْ إقناعِي؛ فهذه أرضٌ سبقَ أن تبرعَ بها مالكُها الأولُ للوزارةِ، ولا يمكنُ

شراؤُها، ولن تفلحَ كلُّ محاولاتك للتراجعِ.

وتحقَّقتْ الهديةُ، وأعدنا المعاملةَ للوزارةِ.

إنَّ الفضلَ في ذلكَ هُو لأخِي المفتِّش الكريمِ عقلاء العقلاء؛ فلو أنَّه وقَّعَ المحضر، واعتمدَ على أن التبرُّعَ كان مشروطاً، وأنَّ الشرطَ لم يتحقَّقْ لما لحقَهُ لومٌ ولا عتابٌ.

ولكنَّهُ رجلٌ أمينٌ، وزميلٌ مخلصٌ. وقد أسفتُ لتقاعدِه، وأحسستُ بفقدِه.

إنَّ هؤلاءِ الرجال الذين يتحلَّوْن بالأمانة والإخلاصِ، والفطنةِ والحزمِ، يشعرُ المسؤولُ

بالفراغِ حينَ يتركونَ العملَ، ولكنَّها سُنةُ الحياةِ، جيلاً بعدَ جيلٍ، وهذا خلَفٌ لذاكَ.

obeikandl.com

obeikandl.com

## ٢٠- المدير الغائب

الجولاتُ الميدانيةُ مهمةٌ للمسؤُول، وهي مشقةٌ وعناءٌ، ولكنَّها واجبٌ وحتمٌ. فكيف يعرفُ المسؤولُ أداءَ مرؤُوسيه؟ وكيف يطمئنُّ القائدُ على المركبَة ما لم يتفقَّدْها، ويتابعْ أمورَها؟!

وحين تولَّيْتُ العملَ في إدارة التَّعليم بالرِّياض أمضيتُ فترةً طويلةً في الجولات الميدانيَّة، حتَّى صرتُ أعرفُ المدارسَ، الواحدَة إثرَ الأُخرى، وبتُّ أعلمُ مواقعها، حتَّى أنَّني إذا دُعيتُ إلَى مُناسَبة اجتماعيَّة تساءلتُ عن المكان، وما أقربُ مدرَسة إلَيه؟

إنَّ هذا الأسلوبَ يكتشفُ المسؤولُ به جدَّ المُوظَّفين، ويعرفُ هزلهم، ويعلمُ حزمَ أعوانه، وتراخي زُملائه، وهُو بذلك يدفعُهم إلى المزيد من العمل، ويجعلُ نفسه قدوةً لهم، ويتخذ من ذاته مثلاً لديهم.

إنَّه إذا نزلَ للمَيدان أبصرَ الخللَ مباشرةً، ورأَى التميُّزَ دونَ حاجز، وشاهدَ الواقعَ الفعليَّ، ولَم يعتَمدْ علَى التَّقَارير التي تُكتَبُ، أو الرِّوايات التي تُذكرُ.

وفي تلكَ الزِّيارات يشاهدُ المسؤولُ حالات تستوجبُ المعالجةَ، ويبصرُ أُموراً تقتَضي الحزمَ، ويقفُ على جوانبَ تُحتِّمُ الإشادةَ، ويرى بعضَ

المواقف المُحرجَة، ويصادفُ بَعضَ الجَوانب الطَّريفَة.

ومن الصُّور التي لا زالت في الذَّاكرة أنَّني ذاتَ مرَّة قُمتُ بزيارة إحدى المدارس الواقعة في جنوب غرب مدينة الرِّياض فما وجدتُ مديرها، ولم أرَ وكيلَها، وكانت الساعةُ السابعةَ صباحاً، وحينَ رآني المدرِّسونَ في مدخَل المدرَسة سمعتُ بعضهم يقولُ للبعض الآخَر: هيَّا أسرعوا إلى الفُصول؛ هذا مديرُ التَّعليم حضر. وشاهدتُهم يتدافَعونَ من باب آخرَ، ويسرعونَ نحوَ الطُّلاب، ويسوقُونهم إلى الفُصول على عجَلٍ؛ لأنَّ الحصةَ الأُولى قد فاتَ منْها ربعُ ساعَة.

وقد شاركتُهم في توجيه الطُّلاب نحو قاعاتهم، وجلستُ في المدرَسة أديرُها، وأتنقَّلُ بين الفُصول، وأراقبُ الأمرَ. وحينَ أوشكَت الحصةُ الأولى على النِّهاية جاءَ مديرُ المدرَسة، وقد ظنَّ أنَّ مجيئي معه، فقال: أهلاً ومرحباً.

قلتُ: أيُّنا الَّذي يرحِّبُ بالآخر، المُتَقدِّمُ أَم المتأخرُ؟ أينَ أنتَ؟ وأينَ وكيلُك؟

قال المديرُ: أمَّا أنا فسيَّارتي قد تعطلَتْ في الطَّريق، وأمَّا الوكيلُ فحتماً تجدُه بين الطُّلاب.

وبينما هُو يتحدَّثُ إذ أقبلَ ابنٌ له لم يلتحقْ بالمدرَسة بعدُ، وأسرعَ نحو أَبيه مُدير المدرَسة وقال: أَبي، أَبي، إنَّ أُمِّي في انتظارك، هيَّا أسْرِعْ.

وقــدْ ودَّ المديرُ أنْ يدفعَ ابنَه، وأن يـكتمُ فَاه، ولكن أنَّى له ذلك. قلـتُ للطِّفل: تعـالَ يا بُنيَّ، من الذي جـاء بك؟ قــال ـ والأطفـالُ أبرياءُ لا يكذبونَ: إنَّ بيـتنـا قـريبٌ، ولقـد أرسلَتْني أمِّي وتقولُ: نادِ أباكَ.

قلتُ للمُديـر ـ وقـد احـمـرَّ وجـهُه وأطرقَ خــجـلاً: اتَّق اللهَ، واصــدُقْ في قــولكَ، وإنَّ وكيـلك مثلُك، إنَّه غـيرُ موجُود، وإنَّ الإهـمالَ والكذبَ يَجــعَلانك في هذا المَوقف المُحــرج، وفي هذه الحالة الصَّعبة. إنَّك مربٍّ، وحَريٌّ بكَ أنْ تكونَ قـدوةً في خُلُقك، ومَثلاً في تعـامُلكَ، إنك قـائدُ المدرسَة فـلا تـغـفلْ، وفـارسُهـا فـلا تُهملْ.

وباللَّه أخبرْني، كيفَ تحزمُ مع وكيلك الغائب وأنتَ مثلُه؟ وكيفَ تحاسبُ هؤلاء المعلِّمينَ وقد فاتَ من الحصَّة رُبعُ ساعَة وأنتَ تتصرفُ مثلَ هذا التصرُّف؟

ولقد أطرقَ الرَّجلُ خَجلاً، وأغضى حياءً، ولم يَرُدَّ بكلمة واحدة، وإنما أبدى أسَفه، وقدَّمَ اعتذاره، وتابعْناه بعد ذلك، فوجدْناه قد تغيَّرَ وعرفْنا أنَّه فهم الدرسَ، وتعلَّمَ من تلكَ الزَّلَّة الشيءَ الكثيرَ.

# الفهرس


| م | الموضوعات | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ... | المقدمة | ٧ |
| ١ | تربية أمير | ١٣ |
| ٢ | إجابة الوزير | ٢١ |
| ٣ | الشريفة | ٣٣ |
| ٤ | العدل والقسطاس | ٤١ |
| ٥ | المعلم البلوي | ٥٥ |
| ٦ | الحيْرة | ٦٥ |
| ٧ | حسناء في الإدارة | ٦٩ |
| ٨ | أبو هنود | ٨٣ |
| ٩ | المعلمون والنصاب | ٩٣ |


obeikandl.com

| م | الموضوعات | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ١٠ | في صالة المراجعين | ١١٧ |
| ١١ | غرفة المدخنين | ١٢٩ |
| ١٢ | صغار السن | ١٥١ |
| ١٣ | ودمعت عيني | ١٦٣ |
| ١٤ | يكتب عن المدرس | ١٧٩ |
| ١٥ | مع المعلم التركستاني | ١٨٧ |
| ١٦ | جار المدرسة | ٢٠١ |
| ١٧ | بين مدرستين | ٢١٣ |
| ١٨ | العاشرة | ٢٢٩ |
| ١٩ | الأرض الهدية | ٢٤٣ |
| ٢٠ | المدير الغائب | ٢٥٣ |


obeikandl.com